أنماط الشخصية

وإشكالات القيادة والتربية
في
العمل الإسلامي المعاصر

تأليف

د. محمد عياش الكبيسي

دار أسامة للنشر والتوزيع

عمّان - الأردن

أنماط الشخصية

وإشكالات القيادة والتربية

في

العمل الإسلامي المعاصر

m , . /

الطبعة الأولى

١٤٣١هـ - ٢٠١٠م

المملكة الأردنية الهاشمية
رقم الإيداع لدى دائرة المكتبة الوطنية
(٢٠١٠/٦/٢٣٣٩)

١٥٥.٢٣
الكبيسي، محمد عياش
أنماط الشخصية واشكالات القيادة والتربية في العمل الإسلامي المعاصر/ محمد عياش الكبيسي. -عمان: دار اسامة للنشر والتوزيع، ٢٠١٠
( ) ص.
ر.إ. : ٢٠١٠/٦/٢٣٣٩
الواصفات: الشخصية//سيكولوجية الشخصية//علم نفس الأفراد/

الناشر
دار أسامة للنشر والتوزيع
الأردن – عمّان
هاتف: ٥٦٥٨٢٥٢ – ٥٦٥٨٢٥٣ فاكس: ٥٦٥٨٢٥٤
العنوان: العبدلي – مقابل البنك العربي – ص.ب: ١٤١٧٨١
Email: darosama@orange.jo
WWW.darosama.net

بسم الله الرحمن الرحيم

الفهرس

الإهـــــداء

كنت أود أن تقرأ لأخيك هذا الجهد المتواضع.. لتسجل على هوامشه بعضا مما تجود به قريحتك الصافية.. كما كنا نتحاور ونتجاذب أطراف العلوم والآداب في مساجد الأنبار وبغداد، وكما كنا نتنافس في تلك المعاهد والجامعات ورياض العلم العامرة، منذ نداوة عودنا حتى كبرنا وكبرت همومنا.

واليوم وبعد أن فرّق بيننا الموت واغتالتك يد الظلام الآثمة.. فإني أهدي إليك ثمرة من بعض ما أسهمت بغرسه.. عهد محبة أبدي.. وعربون لقاء مديد في ظلال الرحمة الإلهية.

إليك أيها الأخ والحبيب.. إليك أيها المتضمخ بمداده ودمائه..

إليك يا عبد الجليل[1]..

---

(١) هو الداعية الدكتور عبد الجليل الفهداوي الذي استشهد في بغداد بتاريخ ٥/٥/٢٠١٠م.

تقديم

بقلم المفكر الإسلامي جاسم سلطان مؤسس مشروع النهضة والمشرف على موقعه الرسمي

الأخ الكريم الدكتور محمد عياش الكبيسي حين التقيت بكتابيه المحكم في العقيدة والصفات الخبرية وجدت كنزا كبيرا من التجديد وحرية النظر...وها نحن مع كتاب جديد يقدم إضافة نوعية أخرى للمكتبة الإسلامية ويعالج موضوعا شائكا متعلقا بالتربية وآفاقها في ضوء دراسة البنية النفسية الأساسية للأفراد.

وفي ضوء التجارب العملية المتعلقة بالعمل الإسلامي المعاصر تكثر الشكوى من قصور المخرجات التربوية عن موافاة المواصفات المطلوبة أو المتصورة من جانب وتكثر الشكوى من ضعف القيادات العليا وقصورها المعرفي وعدم قدرتها على إبداع حلول للمشاكل المزمنة وميلها المستمر للجمود ومعاودة التجريب بذات الطرق التي ثبت فشلها مرة بعد مرة ...وفي كل الأحوال تتجه الأنظار للمناهج التربوية وتغييرها ويتم إحلال كتاب مكان آخر ...أو يتجه لتكثيف الوعظ والقصص الإيمانية أو في أحوال أخرى لتكثيف الدورات الإدارية...ورغم ذلك كله تضل الإشكالات هي الإشكالات ولا يتغير شئ في الواقع .

وهذا الكتاب يقدم تشخيصا ذكيا لهذه الحالة من خلال

تشخيص الأنماط الأساسية للشخصية الإنسانية ويقدم وصفا دقيقا للحدود والأعمال التي تصلح لها كل شخصية .

هذا النمط من المقاربات يقدم لنا بداية أساسية للتفكير الموضوعي في إشكالات طال العهد بها وحان أوان مواجهتها بدل الالتفاف حولها.

د. جاسم سلطان

مقدمـــة

الحمد لله رب العالمين، والعاقبة للمتقين، والصلاة والسلام على النبي الأمين وآله وصحبه ومن سار على سنته إلى يوم الدين.

أما بعد: فمع اعتقاد العلماء المسلمين بشمولية الإسلام وعالميته إلا أن هناك مساحات واسعة من العلوم والتجارب الإنسانية العامة لم يتمكن علماؤنا المعاصرون من ملاحقتها فضلا عن توظيفها والاستفادة منها!

ومن هذه العلوم التي تحظى اليوم برعاية الأمم الأخرى واهتمامها وخاصة الغرب هو علم النفس، حيث تطور هذا العلم تطورا ملحوظا وأخذ ينشطر إلى تفرعات وتخصصات في غاية التعقيد، وعلى سبيل المثال فقد ظهر علم جديد ينتمي إلى علم النفس يسمى (علم الطباع) ويتناول هذا العلم المميزات الثابتة أو الاستعدادات الفطرية التي تؤلف الهيكل النفسي للإنسان وتحفظ لكل شخصية هويتها مهما اختلفت المؤثرات الخارجية كالثقافة والدين والبيئة.. الخ وكان نتيجة هذا العلم ظهور مصطلح (أنماط الشخصية) كعلم جديد له مذاهبه ومدارسه المتعددة،والذي حاول روّاده أن يتنبؤوا بما يمكن أن تفرزه تلك الاستعدادات الفطرية من سلوكيات واختيارات وصولا إلى تحديد الوظائف والأشغال المناسبة لكل نمط من أنماط الشخصية، فهذا يصلح للقيادة، وهذا للقضاء، وذاك للتعليم، وآخر للفن.. الخ ثم تفرع عن هذا علوم أخرى منها مثلا (علم الجرافولجي) GRAPHOLOGY والذي يعنى بتحليل شخصية الإنسان من

خلال كتابته وخطه، وحين أتيحت لي فرصة الإطلاع على بعض أسرار هذا العلم وحصلت على شهادة متخصصة فيه ذهلت للفجوة الهائلة بين واقعنا العربي والإسلامي في هذا الجانب وبين الغرب ، ولك أن تتصور أن ٧٩٪ من الشركات البريطانية تستعمل هذا العلم كضرورة أساسية في التوظيف، بينما وصلت النسبة في الشركات الألمانية إلى ٨٥٪ ! وهذا سر إصرار هذه الشركات على أن يكون طلب التوظيف مكتوبا باليد[١]!

وإذا كان هذا العلم بهذه السعة وهذه الأهمية فما موقف الشريعة الإسلامية منه؟ وما إمكانية الاستفادة منه في ميادين التربية والتعليم والتوظيف والتحقيق العلمي والقضائي؟ وهل يمكن أن يدخل هذا العلم في دائرة المعرفة الإسلامية فيقال: علم النفس الإسلامي، وعلم الطباع الإسلامي، وعلم الجرافولجي الإسلامي، كما يقال: التاريخ الإسلامي و الاقتصاد الإسلامي؟

هذه الأسئلة الكبيرة سنحاول أن نتقدم خطوة في الإجابة عليها من خلال هذا البحث راجيا من الله التوفيق ومن أهل الاختصاص النصح والتذكير.

١- مذكرة دبلوم في علم تحليل الشخصية – د عبد الجليل عبد اللطيف / ص ٢.

تمهيــدات

أولا - الإنسان (النفس والعقل)

الإنسان هو مدار التكليف على هذه الأرض، وقد شرفه الله بحمل الأمانة العظيمة ﴿ إِنَّا عَرَضْنَا ٱلْأَمَانَةَ عَلَى ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ وَٱلْجِبَالِ فَأَبَيْنَ أَن يَحْمِلْنَهَا وَأَشْفَقْنَ مِنْهَا وَحَمَلَهَا ٱلْإِنسَٰنُ إِنَّهُۥ كَانَ ظَلُومًا جَهُولًا ﴾[١] وهذه الأمانة عبّر عنها القرآن بالخلافة ﴿ وَإِذْ قَالَ رَبُّكَ لِلْمَلَٰٓئِكَةِ إِنِّى جَاعِلٌ فِى ٱلْأَرْضِ خَلِيفَةً قَالُوٓا۟ أَتَجْعَلُ فِيهَا مَن يُفْسِدُ فِيهَا وَيَسْفِكُ ٱلدِّمَآءَ وَنَحْنُ نُسَبِّحُ بِحَمْدِكَ وَنُقَدِّسُ لَكَ قَالَ إِنِّىٓ أَعْلَمُ مَا لَا تَعْلَمُونَ ﴾[٢] وفسّر الخلافة بالعبادة ﴿ وَمَا خَلَقْتُ ٱلْجِنَّ وَٱلْإِنسَ إِلَّا لِيَعْبُدُونِ ﴾[٣] وجعل القرآن الغاية من كل هذا إعمار الأرض وتحقيق الرحمة الشاملة للعالمين) ﴿ وَمَآ أَرْسَلْنَٰكَ إِلَّا رَحْمَةً لِّلْعَٰلَمِينَ ﴾[٤].

إن الخالق الحكيم الذي خلق الإنسان لهذه الغاية السامية الجليلة قد خص هذا المخلوق بخصائص ومؤهلات تميزه عن المخلوقات الأخرى وتجعله قادرا على إدارة نفسه وبيئته وما يمكن أن تصل إليه يده وأدواته في هذا الكون، وإذا كان الباحثون عامة قد جعلوا العقل ميزة الإنسان الأولى فالتفكير والتحليل والاستنتاج والبناء التراكمي للتجارب –

١- سورة الأحزاب، الآية ٧٢.

٢ - سورة البقرة، الآية ٣٠.

٣ - سورة الذاريات، الآية ٦٥.

٤- سورة الأنبياء، الآية ١٠٧.

وهذه كلها مجالات العقل الطبيعية – هي التي ميزت المنتج الحضاري الإنساني فإن القرآن الكريم مع إقراره بأهمية العقل ودوره حتى قرن في أكثر من موضع وفي أكثر من صيغة بين الوحي الإلهي والعقل البشري ﴿كَذَٰلِكَ نُفَصِّلُ ٱلْأَيَٰتِ لِقَوْمٍ يَعْقِلُونَ﴾[1] ﴿كَذَٰلِكَ نُفَصِّلُ ٱلْأَيَٰتِ لِقَوْمٍ يَتَفَكَّرُونَ﴾[2].

إلا أن القرآن أولى النفس – إلى جانب العقل – أهمية خاصة

فإذا كان العقل يفكر ويحلل فإن النفس هي مصدر الإرادة و الأمر ! ﴿وَمَآ أُبَرِّئُ نَفْسِيٓ ۚ إِنَّ ٱلنَّفْسَ لَأَمَّارَةٌۢ بِٱلسُّوٓءِ إِلَّا مَا رَحِمَ رَبِّيٓ ۚ إِنَّ رَبِّي غَفُورٌ رَّحِيمٌ﴾[3] وحينما استخدم إخوة يوسف عقولهم في المكر والوقيعة بأخيهم عزا يعقوب هذا إلى النفس وليس العقل فقال ﴿قَالُوا۟ يَٰٓأَبَانَآ إِنَّا ذَهَبْنَا نَسْتَبِقُ وَتَرَكْنَا يُوسُفَ عِندَ مَتَٰعِنَا فَأَكَلَهُ ٱلذِّئْبُ ۖ وَمَآ أَنتَ بِمُؤْمِنٍ لَّنَا وَلَوْ كُنَّا صَٰدِقِينَ ﴿١٧﴾ وَجَآءُو عَلَىٰ قَمِيصِهِۦ بِدَمٍ كَذِبٍ ۚ قَالَ بَلْ سَوَّلَتْ لَكُمْ أَنفُسُكُمْ أَمْرًا ۖ فَصَبْرٌ جَمِيلٌ ۖ وَٱللَّهُ ٱلْمُسْتَعَانُ عَلَىٰ مَا تَصِفُونَ﴾[4] وكأن العقل أصبح مجرد أداة للنفس، ولهذا تجد الذكاء والعلم والخبرة تسخّر بسهولة من قبل النفس المريضة لغايات دنيئة وانظر في قادة المافيا وعصابات الجريمة المنظمة ورؤساء الإمبراطوريات الظالمة والحكومات الفاسدة كل هؤلاء ليسوا بأغبياء ولا تنقصهم القدرة على التحليل والاستنتاج

١ – سورة الروم، الآية ٢٨.
٢– سورة يونس، الآية ٢٤.
٣– سورة يوسف، الآية ٥٣.
٤ – سورة يوسف، الآيتين ١٧–١٨.

واكتساب الخبرة لكن كل هذه القدرات وظفتها النفوس المريضة لمسارات تدميرية وكارثية، ثم لينظر الإنسان في داخله يريد مثلا أن يدخّن فيقول له عقله: لا، التدخين ضار بالصحة والبيئة والمجتمع، ثم يذهب ليدخّن رغما عن عقله فأين مكمن الإرادة إذاً ؟ يقول إدوان شلتز: "الفكر والعقل هما خادمان يعملان فقط في خدمة رغباتنا الأولية...فالغرائز تقدم الطاقة والدافع والتوجيه لكل وجوه شخصية الفرد"[1] ويقول الأستاذ طه عبد الرحمن « ولذا فمن لا حياء له لا يقين في أن عقله مسدد على وفق القيم الصالحة »[2] وهذا من شأنه أن يعين الدعاة والمصلحين على تشخيص الخلل ومعرفة الدافع الأقوى للسلوكيات الخاطئة.

ثانيا - العلم والتربية

سألت مرة مجموعات من طلاب وطالبات الجامعة: لماذا تزداد نسبة الطلاق في مجتمعاتنا حتى وصلت في بعض دول الخليج إلى ٣٦٪ !! فكان جواب بعض الطلبة: بسبب الظروف المادية الصعبة!، قلت: أليست حياة آبائكم وأمهاتكم قبل اكتشاف البترول كانت أكثر فاقة وصعوبة؟ وإن العائلة الخليجية اليوم تنعم بثراء ربما يقل مثيله في العالم بسبب نعمتي النفط والأمن؟ بعضهم حاول أن يعزو هذا إلى الجهل ! ولكن حينما نقارن ماضي هذه المناطق بحاضرها من الناحية العلمية فإن الفارق يبدو غير قابل للقياس!

---

١ - نظريات الشخصية، دوان شلتز، ص٦١.

٢- الحق الإسلامي في الاختلاف الفكري، طه عبد الرحمن، ص١٥٤.

فهذه المجتمعات التي كانت أمية بمعنى الكلمة الآن تنتشر فيها المدارس والمعاهد والجامعات الراقية إضافة إلى أدوات الثقافة الأخرى كوسائل الإعلام المتطورة ومراكز البحوث والاستشارات. في تقديري أن هناك خللا واحدا يقف وراء هذه الظاهرة الخطيرة كما يقف خلف ظواهر أخرى ليست بأقل خطورة من هذه ألا وهو الجانب النفسي حيث نرى الإنسان المعاصر ميالا إلى الانكفاء الذاتي،وضعفت عنده القدرة على الانسجام مع الآخرين وتفشت في المجتمع أمراض كانت محل استهجان آبائنا وأجدادنا كالأنانية وقطيعة الرحم وغلبة المقاييس المادية على القيم الروحية والأخلاقية ، والمؤسسات العلمية التي تحاول أن تغذي العقول بالمعارف النظرية المتنوعة قد أهملت بشكل واضح الجانب التربوي والأخلاقي، نعم فمن الممكن وفق أنظمة الجامعات الحديثة أن ينجح الطالب في مقرر (فقه العبادات) وبتقدير «ممتاز» حتى لو كان تاركا للصلاة ومستهزئا بها!! لكن لو نظرنا في تأريخ أمتنا العلمي فإننا لا يمكن أن نتصور تلميذا للشافعي أو البخاري إلا وهو مثال للتقوى والخلق، لأن أدوات التقويم عند علمائنا الأقدمين لا تقتصر على ورقة الإجابة، ولقد عايشت بقايا ذلك المنهج العلمي والتربوي المتوازن في بعض المدارس الدينية التي كان يشرف عليها بعض العلماء الربانيين.

نخلص مما سبق بأن مؤسساتنا العلمية بأنظمتها الحالية غير قادرة على تحسين نمط السلوك فضلا عن مساهمتها في حل المشاكل الاجتماعية المعقدة، وذلك بسبب إهمال هذه الأنظمة التعليمية للمحرك والدافع الحقيقي (النفس) بل لقد أصبحت هذه الأنظمة في

بعض الأحيان مجرد أدوات للشر من إتقان وسائل التزوير والخداع إلى صناعة أسلحة الدمار الشامل[1] مرورا بمؤهلات النفاق السياسي والظلم الاجتماعي [2].

والقرآن الكريم الذي حث على العلم وأعلى من شأن العلماء نراه بالمقابل يقرر حقيقة كبيرة أن السعادة والشقاء أو الفلاح والخيبة لا ترتبط بالمستوى العلمي وإنما بالمستوى النفسي فقال) ﴿ **وَنَفْسٍ وَمَا سَوَّىٰهَا ﴿٧﴾ فَأَلْهَمَهَا فُجُورَهَا وَتَقْوَىٰهَا ﴿٨﴾ قَدْ أَفْلَحَ مَن زَكَّىٰهَا ﴿٩﴾ وَقَدْ خَابَ مَن دَسَّىٰهَا** ﴾[3].

ثالثاً - إشكاليات العمل الجماعي

من المعلوم في ديننا أن العمل الجماعي مطلوب لتحقيق الغايات الجليلة التي حددها الشرع ولذلك انتشرت في التراث الإسلامي مصطلحات كثيرة مثل (الأمة، الجماعة، الشورى، الأخوة،التعاون، التكافل، الإيثار، التواصي بالحق والتواصي بالصبر) ثم تبعتها مصطلحات فقهية أكثر دقة مثل (الإمامة، الولاية، الإمارة، البيعة) وحاول الإسلام أن يدرب أتباعه على أدبيات العمل الجماعي من خلال (صلاة الجماعة) و (إمارة السفر)..الخ قال رسول الله ﷺ:(إذا كان

١- ينظر نظريات المناهج التربوية، د. علي أحمد مدكور ص٨٣.
٢ - ينظر المسؤولية أساس التربية الإسلامية، عبد السلام الأحمر، ص٧٩، ومنظومتنا التربوية إلى أين؟ عبد المجيد بن مسعود ص٨٣.
٣- سورة الشمس، الآيات من ٧-١٠.

ثلاثة في سفر فليؤمروا أحدهم)[1] إذا الإسلام دين الجماعة والعمل الجماعي، ولكن مع وضوح هذه الضرورة في الإسلام إلا أن المسلمين اليوم ومنذ سقوط الخلافة وحتى الذين يحملون الهم الإسلامي منهم قد أخفقوا إلى حد كبير في صناعة النموذج الصالح للعمل الجماعي، إذا استثنينا بعض النجاحات الجزئية وفي مساحات جغرافية محدودة، ولو أردنا أن نشير إلى أهم مظاهر الإخفاق فسنجملها في الآتي:

• عدم قدرة الجماعات الإسلامية اليوم على استقطاب طاقات المسلمين الموجودة والمتاحة أمامهم، لا من حيث الكم حيث بقي الجمهور الأعظم من المسلمين خارج دائرة هذه الجماعات مع وجود ركيزة ثقافية عالية بأهمية العمل الجماعي إلى حد الوجوب العيني، ولا من حيث النوع حيث أن غالب الشخصيات النشطة في مجتمعاتنا سياسيا أو ثقافيا أو اقتصاديا..الخ هم أيضا خارج دائرة هذه الجماعات.

• عدم قدرة هذه الجماعات على إيجاد صيغة للالتقاء والتعاون فضلا عن التوحد والاندماج ! مع شعور الجميع بضرورة التوحد دينيا وأخلاقيا وواقعيا ويكفي أن كل هذه الجماعات تردد قوله تعالى ﴿وَأَطِيعُواْ ٱللَّهَ وَرَسُولَهُۥ وَلَا تَنَٰزَعُواْ فَتَفۡشَلُواْ وَتَذۡهَبَ رِيحُكُمۡۖ وَٱصۡبِرُوٓاْۚ إِنَّ ٱللَّهَ مَعَ ٱلصَّٰبِرِينَ﴾[2] .

• الانشقاقات والانشطارات المتكررة فلا توجد جماعة إسلامية واحدة إلا وتتعرض لنوع من الانشقاق والانشطار، وعلى الأقل تسرب

١ – أبو داود واللفظ له ج٢ ص ٢٦ والبيهقي وابن خزيمة وابن عبد البر وغيرهم .
٢– سورة الأنفال، الآية ٤٦.

كثير من الطاقات وربما الرواد من دائرة الجماعة في الوقت الذي تكون فيه هذه الجماعات بحاجة إلى أقل القليل وهي تواجه التحديات الخارجية الكبيرة ومن الغريب أن تجد رائدا كبيرا في العمل الجماعي يحذر بشدة من هذه الظاهرة فيكتب كتابه الشهير « متساقطون على طريق الدعوة» والذي يصرح فيه أن هذه الظاهرة تصيب الصف الأول والسابقين والمؤسسين!! ثم بعد فترة يتهم هو بالانشقاق أو السقوط!![١] ثم تحدث حالة غريبة عن أخلاق العمل الإسلامي، فالمتساقطون هؤلاء لا يحبون أن يظهروا بمظهر المتساقطين أو المنشقين !! والجماعة لا تريد أن تخسر رصيد هؤلاء الكبير خاصة في القواعد والمحيط القريب، فتنشأ حالة من المجاملة التي لا تشخص الخلل ولا تعين على العلاج[٢].

• الجمود والركود، فكثير من الجماعات تنطلق بقوة ثم يتلاشى حماسها لتنقلب إلى جماعة روتينية محافظة على قدر من (الأخوة والصداقة) البعيدة عن تحقيق الأهداف الجليلة التي من أجلها تشكلت ألجماعة أصلا، بل قد وصل الجمود إلى حالة من التراجع ليس عن الأهداف فحسب وإنما حتى من ملاحقة النماذج الأولى التي لمعت في سماء الجماعة !! ومن ينظر مثلا إلى أسماء كبيرة مثل (عبد الحميد

---

١ - متساقطون على طريق الدعوة / الأستاذ فتحي يكن . ومن خلال زيارتي للبنان ولقائي به – رحمه الله- علمت أنه صار بعيدا عن جماعة الإخوان المسلمين بعد أن كان المراقب العام لها، وقد حصل مثل هذا لعدد من رموز العمل الإسلامي كالشيخ سعيد حوى انظر له (هذه تجربتي وهذه شهادتي) والذي يصرح فيها باستقالته من كل مؤسسات الجماعة .

٢ - أنظر: هكذا ظهر جيل صلاح الدين وهكذا عادت القدس / ماجد الكيلاني ص٤٠٧.

بن باديس، عمر المختار، حسن البنا، سيد قطب، مصطفى السباعي، محمد محمود الصواف، أبو الأعلى المودودي) ثم ينظر إلى الواقع اليوم فإنه سيلاحظ كأن الجماعات الإسلامية قد عقمت عن صناعة مثل هؤلاء الرجال!! لكن الصحيح أن هؤلاء في الغالب لم تصنعهم هذه الجماعات وإنما هم الذين صنعوها ! وإذا كان هؤلاء الكبار قد نموا وكبروا بدوافع ذاتية فكان من المفترض أن العمل الجماعي سيكون أقدر على تكوين النماذج الأكبر لكن الحقيقة جاءت معكوسة تماما فالجماعات هذه تحاول أن تقلد صورة هؤلاء الرواد الذين صنعوا أنفسهم بأنفسهم! فكيف تكون قدرة الفرد خارج الجماعة أو قبل الجماعة أكبر بكثير من قدرة الجماعة !!

إنه من السهل جدا على كل هذه الجماعات أن تعلق كل هذه الإخفاقات على « المؤامرات الخارجية »لكن هذه مغالطة لا قيمة لها في مجال التحليل العلمي، فإذا كانت هذه الجماعات متيقنة أن الواقع صالح إلى درجة أنه سيحتضن هذه الجماعات إذا ما المبرر لوجود هذه الجماعات أصلاً؟! إن هدف الجماعات الإسلامية كلها هو تغيير هذا الواقع، فإذا فشلت في تغيير هذا الواقع فلا يجوز أن تعلق فشلها على هذا الواقع نفسه؟ إن الجماعات الناجحة هي تلك التي تستطيع أن تغير الواقع لا التي تتذرع به، أنظر إلى ما فعله الرسول ﷺ وأصحابه الأبرار في الجزيرة العربية ثم الأقاليم الكبرى، ثم ما فعله الفاتحون فيما بعد، وحتى بعد حصول النكسات الكبيرة والتحديات الخطيرة أيام المغول والهجمات الصليبية المتتالية، أما الذي يقول أنا لا أستطيع أن أغير شيئًا لصعوبة الظروف

وقوة العدو.. فقد فقَد مبرر وجوده كجماعة إصلاحية أو تغييرية. والصحيح هو النظر في الذات بصدق قبل كل شيء يقول القران الكريم ﴿أَوَلَمَّآ أَصَٰبَتۡكُم مُّصِيبَةٞ قَدۡ أَصَبۡتُم مِّثۡلَيۡهَا قُلۡتُمۡ أَنَّىٰ هَٰذَاۖ قُلۡ هُوَ مِنۡ عِندِ أَنفُسِكُمۡۗ إِنَّ ٱللَّهَ عَلَىٰ كُلِّ شَيۡءٖ قَدِيرٞ﴾[1] فهذه الجماعة التي يقودها رسول الله وفيها أبو بكر وعمر يأمرها القران أن تنظر في نفسها أولا للبحث عن أسباب الفشل أو المصيبة وكان هذا بعد نكسة المسلمين في معركة أحد، وانظر اليوم إلى واقع الجماعات الإسلامية بلا استثناء من منها يتقبل النقد الذاتي ؟ ومن منها أصدر ولو كتيبا صغيرا عن الأخطاء العملية التي وقعت فيها خلال تجربتها الطويلة أو القصيرة؟

وإذا أردنا أن نطبق المنهج القرآني ونبدأ بأنفسنا فإنه يمكن أن نسجل ملاحظات كثيرة تتصل بالكفاءة والإدارة والشجاعة والعدل والذي يهمنا هنا أن نسجل ما يتعلق بالجانب النفسي - كنماذج فقط - ثم لننظر كم هي مساحة الفراغ المتروكة بلا اهتمام ولا مراجعة في هذا الجانب الأساس :

● الكفاءة أم الولاء؟

جدلية الكفاءة والولاء من الجدليات المزعجة في العمل الجماعي، فالجماعات الإسلامية بحكم خبرتها المتراكمة صارت تخشى من أصحاب الكفاءات لأنهم في الغالب يكونون ذوي طموح عال، وهؤلاء في الغالب هم قادة الانشقاقات وأصحاب المشاكل المزعجة في

١- سورة آل عمران، الآية ١٦٥.

كل الجماعات، ولكي تحافظ الجماعة على هدوئها واستقرارها لا بد أن تتجنب مثل هؤلاء!! ولكن ما مصير هذه الجماعات بعد استبعاد أمثال هؤلاء ؟! إن أصحاب الطموح والكفاءة هم الوقود الحقيقي لكل عمل لتحقيق الأهداف الكبيرة وإثراء العمل نفسه بأسباب التطوير والإبداع، اذا لا بد من الاختيار بين (إنجازات كبيرة مع مشاكل كبيرة) أو (جمود وركود بمشاكل قليلة)!! لكن الصحيح أن هذا المأزق ليس قانونا حتميا وإنما هو ناتج عن عدم وعي بطبيعة النفوس وتركيبها وإلا كيف تستطيع الأحزاب العلمانية واللادينية من إنتاج الكم الهائل من أصحاب الكفاءات والاحتفاظ بهم بل وتطويرهم مع الحفاظ بقدر عال من الاستقرار والانضباط وانظر مثلا الى الحزبين الأمريكيين المتنافسين (الجمهوري والديمقراطي)، لماذا لا تظهر مشاكل "الغرور وحب الظهور والرغبة بالانشقاق" إلا في الدول والمجتمعات المتخلفة وخاصة التجارب الإسلامية التي كان ينبغي أن تتميز بالنزاهة والزهد والتعالي عن حظوظ النفس؟!! لكن السؤال الأجدر بالاهتمام: لماذا لا نفكر بطريقة أخرى ونفترض بشيء من التواضع أن هناك علوما تتعلق بإدارة النفوس بتركيباتها المعقدة وأننا كإسلاميين نجهل هذه العلوم وبالتالي فإن الجاهل يميل في العادة إلى التشخيص البسيط والعلاج الأبسط، أرأيت لو ذهبت إلى الحلاق تشكوه وجعا في ضرسك – كما كان يذهب إليه آباؤنا – فهل عنده من حل إلا قلع الضرس !!! بينما لو ذهبت إلى طبيب حاذق فإن الخيارات والاحتمالات ستكون أوسع وأعقد ومكلفة أكثر !! هذا في تقديري هو الفرق بيننا وبين تجارب العمل الجماعي في الغرب حتى على مستوى الشركات التجارية الكبيرة والصغيرة ! إنهم

يتعاملون بمنطق العلم والأسباب كما كان العمل الجماعي عندنا نحن المسلمين أيام العصور الذهبية في تأريخنا الطويل.

وقبل أن ننهي هذه النقطة لا بد من الإشارة والتحذير أن الطموح الظاهر والمزعج قد لا يقابله الولاء حتماً لأن هناك صنفا آخر وهو «الإنسان الوصولي» الذي يتظاهر بالولاء المطلق والسمع والطاعة بلا شروط إذا علم أن هذا هو ما تفضله الجماعة، لأن هذا سيكون أقرب الطرق للوصول ولكن ليس إلى غايات الجماعة الجليلة وإنما لغاياته الشخصية الدنيئة وقد لمست بعض الجماعات هذا الصنف بيدها بعد أن احتضنتهم ودعمتهم على حساب أصحاب الرأي والكلمة الصريحة. بينما الولاء الذي نخاف أن يخدش من قبل الكفاءات قد لا يكون الولاء للفكرة أو المشروع وإنما الولاء للأشخاص، بمعنى أن الكفاءات قد تشكل منافسات حقيقية داخل الهرم التنظيمي – وهذا أمر صحي وفق نظريات إدارة العمل الجماعي الحديثة – وهي طبيعية وفق قواعد علم النفس الاجتماعي - بينما تعتبر ظاهرة سلبية وخطيرة في نظر غالب قيادات العمل الإسلامي المعاصر!!!!

● دواء واحد لكل الأمراض !

لو ذهبت إلى رجل ثري قد أنعم الله عليه وعرضت عليه مشروعا ما كبناء مسجد مثلا فاعتذر ورفض، فكيف تفسر رفضه وكيف تعالج الموقف؟ إن الكثير من الساعين للخير لا تحتمل المسألة عنده إلا تحليلا واحدا وهو «ضعف الإيمان وحب الدنيا» ! وبالتالي يكون العلاج «الترغيب بالآخرة والترهيب من التعلق بالدنيا» إن هذا المثل الذي ضربته لا ينطبق

على أولئك الساعين في المشاريع الخيرية المحدودة فبعض الدعاة وقادة التنظيمات والجماعات الإسلامية لا يملكون أيضا إلا مثل هذا التحليل وهذا العلاج!! ولنرجع إلى مثالنا الأول لنضع احتمالات أخرى للرفض: ألا يمكن مثلا أن يكون الرجل الثري غير واثق من الشخص الذي عرض عليه المشروع؟ فهل العلاج سيكون بالترغيب والترهيب أو بتعزيز الثقة؟! بل في تقديري أن الترغيب والترهيب سيؤدي إلى نتائج عكسية إذ أنه يحمل في داخله اتهاما مبطنا قد لا يرضاه بل لا يستحقه ذلك الرجل، ومن الممكن أن نفترض سببا آخر كأن يكون بناء المسجد مثلا غير داخل في أولويات المشاريع التي يتبناها ذلك الرجل فعليك بذل المجهود لتقنعه بأهمية بناء هذا المسجد.. وهكذا.. وهذه الأسباب كلها قوية خاصة أن الداعية مطالب بحسن الظن بالناس وأن سوء الظن مع أنه محرم فإنه يعمق الفجوات بين الداعية ومحيطه الطبيعي.

قد يدعوك شخص ما أن تبايعه إماماً أو قائداً أو أميراً للمؤمنين!! أو تبايع شيخه أو أستاذه أو حتى فيما دون البيعة فإذا رفضت أو ترددت فإن التشخيص جاهز والعلاج أيضا جاهز هو تشخيص واحد وعلاج واحد لا غير!! ولو كان هؤلاء قد درسوا علوم النفس والطباع وأنماط الشخصيات لعلموا أن قواعد هذا العلم تعطي خيارات أوسع وعلاجات كذلك، وأن هذه أسباب وضعها الله في هذا الخلق كقواعد العلوم الأخرى في الفيزياء والكيمياء والطب والفلك.. الخ وحينما يجهل القادة والمتصدون للعمل العام مثل هذه العلوم فإن أسباب الله لا تتخلف، وفي هذا جواب على تساؤل مرَّ لماذا تحافظ التنظيمات الغربية العلمانية على بنائها الداخلي مع إمكانية التطوير والتوسع ولماذا تفشل

الجماعات الإسلامية في ذلك. يقول الدكتور جاسم سلطان وهو ينتقد ما آل إليه المشروع الإسلامي المعاصر: (لا زالت هناك أسئلة كثيرة تحير القادة والعاملين في المشروع ومنها: من هم البشر المطلوب إعدادهم؟ ومن الذي سيعدهم؟ وعلى أي شيء سيتم إعدادهم؟... وما هي مؤشرات نجاح العملية ؟ وكيف ستتم عملية التربية في ظل جهود تعليمية وإعلامية أخرى قد تجهض هذه العملية ؟)[1].

ولا بد من الإشارة في نهاية هذه النقطة أن ما تعده أنت مرضا يجب أن يعالج قد يراه آخرون أنه عكس ذلك فالطموح والثقة بالنفس قد تراها أنت من الصفات السلبية المؤذية للعمل ويراها آخرون أنها ضرورة من ضرورات العمل وأن أي مشروع ليس فيه مثل هؤلاء فهو مشروع ميت قبل أن يبدأ، أنظر إلى مالك بن نبي كيف يعد (القلق) ضرورة لتحريك المجتمعات بينما يرى الاستقرار سببا للركود والكساد!! «إن المجتمع يكون أحيانا في حالة ركود وكساد ولو أننا قد حللنا في مثل هذه الحالة الوضع النفسي الذي يكون عليه الفرد فإننا نراه يتمتع بصورة واضحة بشعور الاستقرار فلا يحتويه أي قلق وبالتالي فإنه لا يبذل أي محاولة لتغيير الوضع من حوله)[2].

١- قوانين النهضة ج٢ ص ١٠٤.

٢- تأملات / مالك بن نبي ص ١٣٢، وانظر سيكولوجية التعلم / د جابر عبد الحميد جابر ص٣٥.

علم الطباع وأنماط الشخصية

يعرف لوسين[1] الطبع بقوله: (هو مجموعة الاستعدادات الفطرية التي تؤلف الهيكل النفسي للإنسان)[2] ويعني بالاستعدادات الفطرية: تلك التي ولدت مع الإنسان بخلاف المكتسبات والمتغيرات.

إن الإنسان بجوانبه المختلفة يحمل صفات ثابتة تمثل هويته وبصمته الخاصة فلو أخذنا الجسد مثلا فإنه رغم تجدد الجسد لكل إنسان وتبديل خلاياه باستمرار وتعرضه لعوامل القوة (الصحة والرياضة والتغذية الجيدة) أو العكس (المرض والكسل وسوء التغذية والحوادث المؤذية) إضافة إلى ظاهرة النمو الطبيعي فإن هذا الجسد سيبقى محتفظا بخصوصيته وملامحه فلا يختلط جسد زيد بجسد عمر رغم اشتراكهما بكل هذه المتغيرات ! إذا ممكن أن نسمي تلك الخصوصية والملامح الثابتة بـ (الثوابت الجسدية) وتلك المتغيرات بـ (المتغيرات الجسدية).

وإذا أخذنا العقل فإن كل إنسان يولد ومعه قدر من الذكاء ربما يختلف من شخص لآخر، ولكن هذا العقل يتعرض كما يتعرض الجسد لعوامل القوة مثل (الثقافة، الخبرة) ولعوامل الضعف مثل (الجهل واللامبالاة والمخدرات) لكن رغم اشتراك الناس في هذه العوامل والمؤثرات إلا أن الاستعدادات الأولية للذكاء مختلفة، فالطفل (الموهوب) الذي يولد ومعه قدر عال من الذكاء يستطيع أن يحقق

---

١ - عالم متخصص بالطباع، من مؤلفاته "الطبع والمصير الشخصي" و "علم الطباع والكذب".

٢ - علم الطباع المدرسة الفرنسية / د سامي الدروبي ص٢١.

إنجازات عقلية كبيرة إذا توفرت له فرص النماء والتطوير أكثر بكثير من ذلك الطفل الذي يولد وليس معه تلك الموهبة حتى لو توفرت له نفس الفرص التي توفرت للأول!! إذا هناك خصوصيات (ثوابت عقلية) وهناك مكتسبات (متغيرات).

وإذا جئنا إلى موضوعنا فإن النفس البشرية هي الأخرى تولد باستعدادات وصفات موروثة تمثل الهوية الخاصة بالهيكل النفسي لذلك الشخص بحيث تميزه تماما عن الشخص الآخر – كما في حالتي العقل والجسد – وهذا الجانب في النفس هو الجانب الثابت وهو (الطبع) ثم تأتي الصفات المكتسبة من البيئة والمحيط الديني والفكري لكي تضيف صفات جديدة ربما تساهم أيضا **في توجيه الطبع وليس في تغييره** تماما كالرياضة التي لا تلغي هوية الجسد وإنما توجهه بالشكل الأفضل وكالثقافة التي لا تغير الذكاء وإنما توجهه للمساقات والقناعات الجديدة. وعلى هذا يكون الهيكل النفسي للإنسان مؤلف من (ثوابت ومتغيرات).

إن موضوع «علم الطباع» هو دراسة الصفات الثابتة في شخصية الإنسان التي تمثل هويته الخاصة ولا علاقة لعلم الطباع بالمؤثرات الخارجية كالدين والفكر والمجتمع. ولا بالسلوكيات اليومية المتغيرة إلا باعتبارها نتاجاً و مؤشراً على نوع الطباع «فهو يدرس المكتسبات المتغيرة بغية تشخيص الثوابت و يستقري الظواهر السلوكية للوصول إلى الطبع »[1] بل ويعنى هذا العلم حتى بشكل الجسد ودلالاته الطبيعية

١- علم الطباع المدرسة الفرنسية ص٢٤.

وكذلك شكل الخط والتوقيع والهوامش المتروكة في ورقة الكتابة..الخ

وإذا كانت السلوكيات الظاهرة والمتغيرة تعيننا على فهم الصفات الثابتة «الطبع» فإن معرفة الطبع تعيننا على معرفة نمط السلوك الذي سيقوم به الشخص مستقبلا، يقول ريموند كاتيل وهو يتكلم عن فوائد هذا العلم «**التنبؤ بما سيعمله المرء في موقف معين**»[1] وهذه هي الثمرة الحقيقية لهذا العلم، فإن هذا العلم يعيننا على معرفة الدور الذي يصلح لهذا الشخص ولا يصلح لذاك! فهذا بطبعه يصلح للقيادة أو للقضاء أو للتعليم أو للفن.. الخ وهذا سيتصرف بالطريقة الفلانية إذا واجه هذه المشكلة والثاني سيواجهها بطريقة مختلفة!.

ولهذا العلم مدارس مختلفة فمنهم من يرد كل السلوك البشري إلى الغريزة! وهؤلاء أيضا قد يختلفون في تحديد الغريزة وتصنيفها وترتيب أولوياتها، وإذا كان فرويد قد عرف بتركيزه على غريزة الجنس فإن هناك من أعتبر الأصل في كل الغرائز إنما هو (الحياة) وما غريزة الجنس وكذلك الأكل والشرب..الخ إلا أدوات أو «حاجات» لابد منها لاستمرار الحياة[2] بينما كان الفلاسفة الإغريقيون يصنفون الناس تبعا لما يسمونه بـ (الأمزجة الغالبة) فيقولون: هذا صفراوي لمن غلبت عليه الصفراء، ويقولون: إن أشكاله مستطيلة وأطرافه طويلة، ويتمتع بكثرة الحركة!! ويقولون: هذا بلغمي وغالبا ما تكون أشكاله ثقيلة ذات

١- نظريات الشخصية ص٣٣٧، وهذا ينسجم مع قول سكنر: "إن هدف علم النفس هو التنبؤ بسلوك الأفراد وضبطه "سيكولوجية التعلم /د جابر عبد الحميد جابر ص ٣٠٠.

٢ - علم الطباع المدرسة الفرنسية ص ٦- ٧.

شحم ويكون بطيء الحركة!! ويقولون: هذا دموي وغالبا ما يكون قفصه الصدري عريضا والطبقة الوسطى من وجهه نامية..الخ[١].

لكن الحقيقة أنه حينما نتكلم عن علم محدد فلا يمكن أن نرجع إلى البدايات الأولية التي تصلح كقواسم مشتركة للكثير من الأنشطة البشرية والثقافات والعلوم الإنسانية، ثم إن غريزة «الجنس« مثلا أو «الحياة» هي محل اشتراك وتشابه بين كل البشر، بل وحتى الحيوان! ومن هنا فلا يمكن أن نضع أنماطا للشخصية الإنسانية بناءا على هذه الغرائز، وحتى «الأمزجة« التي تحدث عنها الإغريق مع أنها أقرب – من حيث المبدأ- من نظريات «الغرائزيين» إلا أنها لا يمكن تصنيفها كعلم محدد وقابل للقياس والتطبيق لكنها تدلل بلا شك على مدى اهتمام المجتمع البشري بأوليات هذا العلم وهذا يعكس حاجة قديمة ومتجددة في هذا المجال دون ريب.

والذي وجدته أن **المدرسة الفرنسية** قد قطعت أشواطا متميزة في هذا العلم، وقد قدمت هذا العلم بهيكلية متكاملة ومستوعبة للشروط المطلوبة في كل علم وبطريقة منطقية متسلسلة[٢]. وهذا ما سنفصله في المطلب التالي مع ملاحظة – أني أبقيت المصطلحات التي استعملتها هذه المدرسة بلا تغيير لتسهيل الرجوع إلى تفاصيلها في مصادرها الأصلية مع شعوري بالحاجة إلى تغيير بعض المصطلحات بما يناسب الاستعمال العربي لكني اكتفيت بالتوضيح من خلال الأمثلة والشرح.

١- المصدر السابق.

٢ – وقد استفدت هذا التصنيف من كتاب: علم الطباع المدرسة الفرنسية ..

المقومــات الأساسية لتصنيف الطباع

اعتمد الفرنسيون ثلاثة أسس في تصنيف الطباع ، وهذه الثلاثة ينبغي أن تقرأ بطريقة متسلسلة، ثم بتزاوج هذه الثلاثة يظهر التصنيف التلقائي لأنماط الشخصية، وهي:

أولاً - الانفعالية

وهذا المصطلح قريب من «الدافعية» المستخدم في مدارس أخرى[1] أبلغ شخصين متفاوتين في الصفات الظاهرة نبأ تراه مثيرا ولا يخص الأول دون الآخر وذلك مثل سقوط طائرة أو حدوث زلزال أو إعلان حرب فقد تجد أن الأول قد اضطرب وانقطع عن عمله وأخذ يسأل بلهف عن صدقية هذا الخبر وتداعياته وتفصيلاته، بينما ترى الثاني يقابلك ببرود ويبقى مستمرا بحالته الأولى من عمل أو كلام أو جلوس أو استلقاء..الخ

إن التفاوت هذا بين الشخصين هو تفاوت في درجة «الانفعالية» والواقع أن الناس كلهم مشتركون بقدر ما من الانفعالية لكنهم متفاوتون فيما بعد هذا القدر لأن «الخاصة الأساسية الأولية في حياة الإنسان هي الانفعالية، فهي الطاقة التي بدونها لا يمكن أن تستمر الحياة»[2].

فإذا افترضنا أن وسط الانفعالية (٥) فان الأرقام من (٦-٩) تسمى انفعالية بينما الأرقام من (١-٤) تسمى غير انفعالية.[3]

لكن لماذا كانت الانفعالية هي الخاصة الأساسية الأولى؟! وهي

١- نظريات الشخصية ص ٢٣٨.
٢- علم الطباع المدرسة الفرنسية ص ٤٥.
٣ - أنظر ملحق رقم (١).

المحرك الأول لكل سلوكيات الإنسان؟!

إنك تشعر بالجوع أو العطش أو التعب أو الإهانة أو الخوف.. الخ فيصنع فيك هذا الشعور توترا بمقدار - بحسب طبعك-، إن هذا التوتر هو «الانفعالية» فانظر هل يمكن أن يكون هناك تصرف بشري بدون هذا الدافع؟! يقول هنري موري: «تنشأ الحاجة من الفعاليات الداخلية مثل الجوع والعطش، أو من أحداث معينة مهما كان مصدرها، فالحاجة ترفع مستوى التوتر الذي يحاول الكائن أن يخفضه عن طريق إرضاء الحاجة[1] «وإذا كانت هذه الحاجات لا حصر لها فهي ليست الأكل والشرب والجنس فقط وإنما تشمل» حاجة الاحترام والمقاومة والانتماء والسيطرة وحب الظهور واللعب..الخ[2] فإن «الانفعالية» لا حدود لتأثيرها ونشاطها ولذلك يقول جولدون البورت: «إنه من التبسيط أكثر من اللازم اختزال الدافعية إلى عدد قليل من الدوافع مثل البحث عن **اللذة والسلطة والأمن**[3]» وقد حاول إبرا هام ماسلو أن يرسم هرما لهذه الدوافع تبدأ قاعدة الهرم بالدوافع الفسيولوجية ثم السلامة والأمن ثم الانتماء ثم الاحترام ثم تحقيق الذات.

لكن الإضافة الجديرة بالاهتمام أن الدافع الواحد الذي يصنع التوتر المطلوب لسد الحاجة قد يتغير» قبل وأثناء وبعد «سد الحاجة !! ويضرب البورت مثالا واضحا فيقول: «بعض الناس يندفع لجمع المال

---

١ - نظريات الشخصية ص ١٨٩

٢- نظريات الشخصية ص ١٩٠

٣- نظريات الشخصية ص ٢٣٨

بدافع إشباع اللذة أو تحقيق السعادة، ثم بعد جمع المال يتحول الدافع إلى المحافظة على المال !! وينسى «البخيل» الدافع الأول فيعيش في شقاء رغم ما عنده من مال !![1]».

المنظور الإسلامي للانفعالية :

بداية يمكن القول إن كل ما قرأناه عن الانفعالية لا يتعارض مع ما عندنا من نصوص إسلامية، صحيح أننا قد لا نجد الانفعالية كمصطلح، لكن القرآن الكريم والسنة النبوية فيهما المئات من النصوص التي تتحدث عن الحاجات المحركة للسلوك البشري ﴿ زُيِّنَ لِلنَّاسِ حُبُّ ٱلشَّهَوَٰتِ مِنَ ٱلنِّسَآءِ وَٱلْبَنِينَ وَٱلْقَنَٰطِيرِ ٱلْمُقَنطَرَةِ مِنَ ٱلذَّهَبِ وَٱلْفِضَّةِ وَٱلْخَيْلِ ٱلْمُسَوَّمَةِ وَٱلْأَنْعَٰمِ وَٱلْحَرْثِ ۗ ذَٰلِكَ مَتَٰعُ ٱلْحَيَوٰةِ ٱلدُّنْيَا ۖ وَٱللَّهُ عِندَهُۥ حُسْنُ ٱلْمَـَٔابِ ﴾[2].

والقرآن هنا لا يلوم الإنسان على هذه الغرائز أو «الحاجات» وإنما يدعوه إلى الانتباه إلى حاجات أخرى أشد ضرورة وأكبر نفعا وأدوم مآلاً فتراه يعقب بعد هذه الآية مباشرة: ﴿ قُلْ أَؤُنَبِّئُكُم بِخَيْرٍ مِّن ذَٰلِكُمْ ۚ لِلَّذِينَ ٱتَّقَوْا۟ عِندَ رَبِّهِمْ جَنَّٰتٌ تَجْرِى مِن تَحْتِهَا ٱلْأَنْهَٰرُ خَٰلِدِينَ فِيهَا وَأَزْوَٰجٌ مُّطَهَّرَةٌ وَرِضْوَٰنٌ مِّنَ ٱللَّهِ ۗ وَٱللَّهُ بَصِيرٌۢ بِٱلْعِبَادِ ﴾[3] فالقرآن لا ينكر الدوافع المادية أو

١- نظريات الشخصية ص ٢٤٠

٢ - سورة آل عمران، الآية ١٤.

٣- سورة آل عمران، الآية ١٥.

الدنيوية ولا يريد للناس أن يتجاوزوها[1] ولكنه يريد أن يحدث نوعا من التوازن ليس بين الدوافع هذه وما يقابلها في عالم الإيمان بالغيب والحياة الأخرى وإنما بين هذه الدوافع ذاتها لكن من طرفيها (الفردي والجماعي) ولتوضيح هذه الفكرة نقول: الله خلق هذه الحاجات أو الغرائز في الإنسان لتدفعه للعمل المثمر والجاد فإذا تمكن من جمع المال فإن هناك إنسانا آخر قد لا يتمكن من توفير المال لسد حاجاته الأساسية لمرض أو ظرف ضاغط..الخ فيتدخل هنا الإيمان بالغيب ليضيف دافعا جديدا لصاحب المال وهو دافع للإنفاق في مقابل الدافع للجمع يقول القرآن الكريم: ﴿ مَّثَلُ ٱلَّذِينَ يُنفِقُونَ أَمْوَٰلَهُمْ فِى سَبِيلِ ٱللَّهِ كَمَثَلِ حَبَّةٍ أَنۢبَتَتْ سَبْعَ سَنَابِلَ فِى كُلِّ سُنۢبُلَةٍ مِّاْئَةُ حَبَّةٍ ۗ وَٱللَّهُ يُضَٰعِفُ لِمَن يَشَآءُ ۗ وَٱللَّهُ وَٰسِعٌ عَلِيمٌ (٢٦١) ٱلَّذِينَ يُنفِقُونَ أَمْوَٰلَهُمْ فِى سَبِيلِ ٱللَّهِ ثُمَّ لَا يُتْبِعُونَ مَآ أَنفَقُوا۟ مَنًّا وَلَآ أَذًى ۙ لَّهُمْ أَجْرُهُمْ عِندَ رَبِّهِمْ وَلَا خَوْفٌ عَلَيْهِمْ وَلَا هُمْ يَحْزَنُونَ ﴾[2] ولاحظ القرآن العظيم كيف يربط بين حاجات الجسد وحاجات الأمن وحاجات الاحترام حتى للفقير ! فأنت تقدم مالك للفقير بلا منَ ولا أذى، فإهانة الفقير بهذا المن تبطل الصدقة نفسها !! بل يذهب القرآن إلى أبعد من هذا ليربط بين المن على الفقراء والكفر بالله ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ لَا تُبْطِلُوا۟ صَدَقَٰتِكُم بِٱلْمَنِّ وَٱلْأَذَىٰ كَٱلَّذِى يُنفِقُ مَالَهُۥ رِئَآءَ ٱلنَّاسِ وَلَا يُؤْمِنُ بِٱللَّهِ وَٱلْيَوْمِ ٱلْءَاخِرِ ۖ فَمَثَلُهُۥ كَمَثَلِ صَفْوَانٍ

١- أنظر الفكر التربوي والنفسي عند الغزالي، د كفاح يحيى العسكري ص ١٤٠.
٢- سورة البقرة، الآيتان ٢٦١- ٢٦٢.

عَلَيْهِ تُرَابٌ فَأَصَابَهُۥ وَابِلٌ فَتَرَكَهُۥ صَلْدًاۖ لَّا يَقْدِرُونَ عَلَىٰ شَيْءٍ مِّمَّا كَسَبُواْۗ وَٱللَّهُ لَا يَهْدِي ٱلْقَوْمَ ٱلْكَٰفِرِينَ ﴾[1] وفي آية أشد وضوحا يقول القـــران: ﴿أَرَءَيْتَ ٱلَّذِي يُكَذِّبُ بِٱلدِّينِ ١ فَذَٰلِكَ ٱلَّذِي يَدُعُّ ٱلْيَتِيمَ ٢ وَلَا يَحُضُّ عَلَىٰ طَعَامِ ٱلْمِسْكِينِ ﴾[2].

الإسلام إذا يقر هذه الحاجات بتصنيفها المادي والمعنوي أو الفردي والجماعي، لكن الإسلام أضاف مصطلحاً جديدا ذا صلة وثيقة بموضوعنا هذا ألا وهو «**النيــة**» والنية في تقديري هي نوع من السلوك القلبي يتوسط بين الدافعية أو «الانفعالية» والعمل ! فالانفعال للجوع أو الخوف أو الإهانة يتحول إلى «قرار» قبل الخطوات العملية وهذا القرار هو الذي يسميه الإسلام «النية» وقد رتب عليها ما يستحقه العاملون من ثواب أو عقاب، يقول الرسول الأكرم ﷺ (إنما الأعمال بالنيات وإنما لكل امرئ ما نوى) [3].

أما لماذا جعل الإسلام النية هي مدار الجزاء مع أنها تأتي بعد «الحاجة» من حيث الترتيب المنطقي والطبيعي؟ فما ذاك إلا لأن الإسلام يقر أن الحاجات والغرائز لا تستحق بذاتها ثوابا أو عقابا لأنها ليست في إرادة البشر بخلاف النية التي تعد الخطوة الأولى للسلوك البشري النابع من إرادته، ولهذا فالجهد لا ينبغي أن يتوجه لتغيير

---

١ - سورة البقرة، الآية ٢٦٤.

٢ - سورة الماعون، الآيتان ١-٣.

٣ - البخاري / التجريد الصريح ج١ ص٥.

(الغرائز) أو (الانفعال) الناتج عن الغرائز فهذا من الطبع الذي لا يتغير ولكن السلوك الذي يبدأ بالنية هو القابل للتغيير والإصلاح، وقد يرد اعتراض أن النية والسلوك كذلك إذا كانت من نتاج (الثابت) فهي أيضا ثابتة فكيف تقبل التغيير؟ والحقيقة أن جملة الحاجات من حيث هي موجودة غير قابلة للتغيير وكذلك درجة انفعال كل نمط من أنماط الشخصية حينما يتولد عنده الشعور بالحاجة فهذا أيضا لا يتغير، لكن الذي يتغير هو سلَّم هذه الحاجات نفسها داخل الإنسان بحسب المؤثرات الذاتية – كالتقدم في السن مثلا – أو المؤثرات الخارجية كالدين والمستوى الثقافي، لكن هل مستوى الانفعال عند استشعار الحاجة في وقتها يتغير؟ الظاهر من دراسة أنماط من الشخصيات التاريخية يظهر بشكل واضح أن هذا لا يتغير فمثلا استشعر الصحابي الجليل عبد الرحمن بن عوف رضي الله عنه حاجته للمال بعد الهجرة فذهب للسوق وعمل في التجارة، هنا نستطيع أن نقول عن عبد الرحمن: إنه من النمط العالي الانفعالية، ثم لما استشعر هو نفسه الحاجة إلى المنافسة الأخروية والقربى من الله هل مستوى انفعاله إزاء هذا الشعور قد قل عن مستوى انفعاله الأول ؟؟ لقد قدَّم عبد الرحمن في مجال الإنفاق ما يكافئ مستواه في الجمع لاستشعارين وانفعالين مختلفين من هنا نستطيع أن نجزم أن نفسية عبد الرحمن هي من النمط العالي في انفعاليته، ولو رأينا حماسة خالد بن الوليد وهو يقاتل للقضاء على الإسلام في أحد ثم رأيناه كيف يقاتل من أجل الدفاع عن الإسلام في حربه للمرتدين ثم الفتوحات الكبيرة لعلمنا أن الصفة النفسية الثابتة في شخصيته رضي الله عنه هي (الانفعالية العالية) فهذه لم تتغير لكن

الذي تغير هو عقيدته وقناعاته بما ينبغي أن ينفعل له ! ولو أخذنا مثال عمر بن عبد العزيز الذي كان مشبوبا بدوافـــع التميز الدنيوي حتى نال الخلافة ثم صعد عنده الطموح للتميز الأخروي فزهد بمتاع الدنيا وزينتها لعلمنا أن الثابت أيضا في شخصيته هو (الانفعالية العالية) التي قادته مرة للتعلق بالدنيا وقادته في النهاية للزهد فيها!! وقد قال هو نفسه في ذلك: «إن نفسي توّاقة لم تعطَ من الدنيا إلا تاقت إلى ما هو أفضل منه فلما أعطيت ما لا شيء فوقه من الدنيا تاقت نفسي إلى ما هو أفضل منه يعني الجنة !![1]».

ولو أخذنا نموذجا بعيداً عن البيئة الإسلامية «هتلر» لقد دهشت فعلا حينما علمت أن هذا الرجل الشديد العنيد كان من أكثر رجال الجيش الألماني انضباطاً وحباً وطاعة لآمريه قبل أن يكون في موضع المسؤولية الأول !! ومعنى هذا أن قوته في الطاعة لا تختلف عن قوته في الأمر !! لكن الذي اختلف هو شعوره بالحاجة التي تناسب وضعه الجديد.

من كل ما تقدم ندرك أن «الانفعالي» ممكن أن يتحول من انفعالي بهذا الاتجاه إلى انفعالي باتجاه آخر أو حتى من «انفعالي في الشر» إلى «انفعالي في الخير» أو العكس، لكن من الصعب أو المستحيل تحويل « اللا انفعالي» إلى « انفعالي»، وبعض الجماعات الإسلامية المعاصرة - نتيجة لقصورها في هذا العلم – تحاول أن تستقطب «اللا انفعاليين» تجنبا للمشاكل والطفرات غير

١- تاريخ الخلفاء للسيوطي ص ٢٢٠.

المتوقعة! ثم لحاجتها إلى دفع أعضائها للعمل والتضحية والإقدام تحاول بالوعظ والترغيب والترهيب أن تبث هذه الروح في هؤلاء الأعضاء، لكن النتائج غالبا ما تكون مخيبة للآمال! وتتكرر العملية مرات ومرات دون أن يصلوا إلى نتيجة فيسود في قياداتها شعور باللا جدوى وأنهم ينبغي أن يقوموا بكل المهام لوحدهم وأنه ليس هناك من يصح الاعتماد عليه!! فيختفي العمل المؤسسي وتختفي روح الشورى الحقيقية ويسود الجماعة حال من الكساد والركود ! ولكن لو سألوا أنفسهم كيف نرى تنظيمات «أرضية» دنيوية قادرة على تحريك عناصرها نحو أهدافها بتضحيات ومغامرات خطيرة وكيف لا يستطيع المؤمنون بالله والآخرة أن يحققوا ذلك؟ أين هي المشكلة الحقيقية ؟ يقول أحمد مطر:

أنا ليس لي علم بتعبئة الشجاعة في القناني
أو فن تحويل الخروف إلى حصـــــان[1]

وهنا أشير فقط لحديث رسول الله ﷺ - حتى لا يتهم الإسلام نفسه بهذه المنهجية المغلوطة – حينما طلب منه أبو ذر الغفاري رضي الله عنه أن يستعمله فقال له عليه الصلاة والسلام: (يا أبا ذر إنك ضعيف وإنها أمانة [2]) لماذا لم يقل له تعال أدخلك دورة لتكون قويا!! أو حاول يا أبا ذر أن تعالج الضعف الذي فيك !!مع ما عرف فيه أبو ذر من قوة في الإيمان وولاء راسخ لله ورسوله وصدق في اللسان ونجاح في الدعوة وشجاعة في قول الحق - كما سيأتي تفصيله إن شاء الله

١- لافتات، أحمد مطر
٢- صحيح مسلم ج٣ ص ١٤٥٧.

- وكيف قدّم الرسول ﷺ عليه من جاء بعده بسنوات عديدة كخالد بن الوليد وعمرو بن العاص -رضي الله عنهم أجمعين.

وقبل أن ننهي هذه النقطة لا بد من الإشارة إلى إضافة جولدون البورت – التي مرت معنا - في أن الدافع للعمل الواحد نفسه قد يتغير كما في حالة «البخيل» الذي كان دافعه لجمع المال «تحقيق السعادة» على وفق ما يراه عند غيره من الأثرياء، لكن أثناء جمعه للمال يتحول الهدف من «تحقيق السعادة» إلى «كنز المال» بحيث يبقى البخيل رغم ماله شقيا وغير قادر على استعمال ماله لرفع هذا الشقاء!!

إننا كإسلاميين علينا أن نعترف بهذه الإضافة على مستوى الأفراد أو الجماعات من حيث الواقع والتجربة فإننا نجد طالب العلم الشرعي الذي أخذ العلم لتحقيق الواجب الشرعي والإرث النبوي ثم تحول إلى مصدر للرزق بحيث ترى بعض الأساتذة لا يفكر بكتابة حتى البحوث العلمية إلا تلك التي تنفعه في ترقيته الوظيفية!! وقد ترى المجاهد الذي اندفع بصدقٍ حباً في الجهاد وثوابه ثم تراه منافسا لغيره على الصدارة والرئاسة في صفوف «المجاهدين» وترى الداعية المشبوب بالعاطفة الإسلامية لنشر الدعوة يتحول فيما بعد إلى متعطش لتجميع الأنصار لشخصه وكأنه يتهيأ لمنافسات انتخابية!! وكل هؤلاء ينطلقون بنفس الحماس رغم تغير الأهداف إلى حد التباين!!

أما على مستوى الجماعات فقد نرى الجماعة التي تأسست أصلا من أجل إنقاذ الأمة كيف تنزوي في النهاية عن الأمة لتتقزم أهدافها إلى مستوى «الحفاظ على الجماعة» وربما تدخل في اشتباك

مع كل أطياف الأمة لأنهم يشكلون خطرا على «الجماعة»!! ونرى مجموعة تنشق عن جماعتها الأم لتحقيق الأهداف التي لم تتمكن الجماعة الأم من تحقيقها - وهذا مبرر مقنع - ولكن بعد التجربة الطويلة والمحاولات المتكررة تفشل هذه المجموعة في تحقيق أهدافها فترجع إلى نفس أسلوب الجماعة الأم!! لكن مع الاحتفاظ بشيء واحد فقط ألا وهو «الانشقاق»!! ويصبح الانشقاق بحد ذاته هدفا بعد أن كان وسيلة لتحقيق هدف آخر!! وهكذا نستطيع القول: إن عندنا من الأمثلة والنماذج الحية التي تؤيد نظرية البورت بقوة وفي مختلف المجالات لكنها في الغالب لا تكون باتجاه التغيير نحو الأفضل[1].

لكن هل يمكن التسليم بأن هذه إضافة حقيقية بمعنى أنها غير مسبوقة ؟! ربما تكون كذلك في سياق هذا العلم ومصطلحاته لكن لو رجعنا إلى مصادرنا الإسلامية من غير تكلف فإننا سنجد الكثير من النصوص التي تشير إلى هذه الإضافة ولنتدبر هذه النماذج:

يقول القــران الكريـم: ﴿ وَمِنْهُم مَّنْ عَـٰهَدَ ٱللَّهَ لَـئِنْ ءَاتَـٰنَا مِن فَضْلِهِۦ لَنَصَّدَّقَنَّ وَلَنَكُونَنَّ مِنَ ٱلصَّـٰلِحِينَ ﴿٧٥﴾ فَلَمَّآ ءَاتَـٰهُم مِّن فَضْلِهِۦ بَخِلُوا۟ بِهِۦ وَتَوَلَّوا۟ وَّهُم مُّعْرِضُونَ ﴾[2]

ويقـــول: ﴿ وَمِنَ ٱلنَّاسِ مَن يَعْبُدُ ٱللَّهَ عَلَىٰ حَرْفٍ ۖ فَإِنْ أَصَابَهُۥ خَيْرٌ ٱطْمَأَنَّ بِهِۦ ۖ وَإِنْ أَصَابَتْهُ فِتْنَةٌ ٱنقَلَبَ عَلَىٰ وَجْهِهِۦ خَسِرَ ٱلدُّنْيَا

١- انظر هكذا ظهر جيل صلاح الدين –د ماجد الكيلاني ص٤٠٦.
٢ - سورة التوبة، الآية ٧٥-٧٦.

﴿ وَٱلْأَخِرَةَۚ ذَٰلِكَ هُوَ ٱلْخُسْرَانُ ٱلْمُبِينُ ﴾ [1] وروى مسلم (عن حنظلة الأسيدي قال وكان من كتّاب رسول اللّه ﷺ قال لقيني أبو بكر فقال كيف أنت يا حنظلة قال قلت نافق حنظلة قال سبحان اللّه ما تقول قال قلت نكون عند رسول اللّه ﷺ يذكرنا بالنار والجنة حتى كأنا رأي عين فإذا خرجنا من عند رسول اللّه ﷺ عافسنا الأزواج والأولاد و الضيعات فنسينا كثيرا قال أبو بكر فو اللّه إنا لنلقى مثل هذا فانطلقت أنا وأبو بكر حتى دخلنا على رسول اللّه ﷺ قلت نافق حنظلة يا رسول اللّه فقال رسول اللّه ﷺ وما ذاك قلت يا رسول اللّه نكون عندك تذكرنا بالنار والجنة حتى كأنا رأي عين فإذا خرجنا من عندك عافسنا الأزواج والأولاد والضيعات نسينا كثيرا فقال رسول اللّه ﷺ أن لو تدومون على ما تكونون عندي وفي الذكر لصافحتكم الملائكة على فرشكم وفي طرقكم ولكن يا حنظلة ساعة وساعة ثلاث مرات) [2].

ثانيا - الفعّالية

يقصد بالفعالية :«الاستعداد الذاتي للعمل» كما تقول المدرسة الفرنسية أي بغض النظر عن الضغوط والعوامل الخارجية، فالفعال هو الشخص النشط الذي يرغب في العمل ولا يشعر بالسأم أو التعب إلا نادرا، وقليل الراحة يكفيه، ويقابله اللافعّال وهو الكسول الخامل الذي لا يعمل إلا بالضغط من قوة خارجية أو عاطفة آنية، ولذا ينبغي التنبه إلى أن كثرة العمل لوحدها لا تعد دليلا على الفعالية إذا كانت نتيجة

---

١ - سورة الحج، الآية ١١.

٢- صحيح مسلم ج٤ ص ٢١٠٦ والترمذي ج٤ ص٦٦٦.

لتلك الضغوط[1].

والفعالية بكل مستوياتها هي تعبير عن الاستجابة للانفعالية، فالإنسان الذي يشعر بالجوع يبدأ بالبحث عن الطعام، فالانفعالية هنا هي الشعور بالجوع والفعالية هي البحث عن الطعام، وعلى هذا تكون كل سلوكيات الإنسان عبارة عن فعالياته الاختيارية الناتجة عن الشعور بالحاجة (الانفعال)

إن تصنيف الناس إلى فعّالين وغير فعّالين أمر واقع لا يحتاج إلى إثبات، وسلوك المجتمع البشري شاهد على هذا، ولكن الذي يحتاج إلى إثبات هو كون هذا التصنيف ثابتا من ثوابت الطبع الإنساني بمعنى أنه غير قابل للتغيير فالفعّالي ولد فعاليا وسيبقى كذلك حتى آخر يوم في حياته والعكس صحيح.

من المؤكد أنه ليس هناك دليل يمكن الاطمئنان له إلا الملاحظة، فمثلا لو أخذنا مجموعة من الطلاب الذين تحكمهم ظروف متشابهة فإنا سنجدهم متفاوتين في النشاط الدراسي بالرغم من وجود الدوافع المتقاربة، هذه ملاحظة فإذا أضفنا إليها ملاحظة أخرى وهي أن هذا التفاوت يمتد بالسياق نفسه على مراحل الدراسة المختلفة فالذي يترجح أن هنالك تفاوتا طبعيا، إذ لم يستطع الطالب أن يغير من طبعه رغم قناعته العقلية والاجتماعية كذلك بضرورة التغيير، ولو أخذنا عينات أخرى من التجّار أو الفلاحين ففي الغالب ستتكرر الملاحظة.

١- ينظر علم الطباع المدرسة الفرنسية ص٤٧- ٥٠

المنظور الإسلامي للفعّالية :

يربط الإسلام بين الانفعالية والفعالية فالعمل في الإسلام مرتبط بالإيمان ﴿ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ وَعَمِلُوا۟ ٱلصَّٰلِحَٰتِ﴾[1] فالإيمان يصنع الدوافع الحقيقية للعمل كالخوف من النار والرغبة في السعادة الأبدية وهذه بدورها تضغط على الإنسان المؤمن ليلبي هذه الحاجات، فالربط إذا بين الإيمان والعمل ليس من حيث صحة العمل أو قبوله فحسب بل العمل هو نتيجة منطقية وطبيعية للإيمان، ولو أخذنا حديث الرسول ﷺ (إنما الأعمال بالنيات) [2] وفهمناه ببعده الأوسع فإنه يقرر «ظاهرة نفسية مشتركة بين الناس هي أن السلوك الإنساني سلوك مدفوع[3]«وهذا لا يحتاج إلى إثبات إلا أن النية في علم النفس ليست هي الدافع» فالنية عزم القلب وميله وتوجهه لعمل من الأعمال والدافع هو الحاجة التي تبعث هذه النية، فالنية جزء من السلوك[4] «وبعبارة أخرى أن النية في علم النفس لا بد أن يسبقها انفعال معين يورث الرغبة الذاتية لعمل ما، وهذا العمل نفسه ستكون الخطوة الأولى فيه النية، ولكن الناس – وفق علم النفس هذا – يتفاوتون تفاوتا طبعيا في قدرتهم على الاستجابة العملية للشعور بالحاجة إلى شيء ما، وهذا ما لم أجده بصورة واضحة في النصوص الإسلامية ولا حتى في كتب التراث المختلفة، إلا أن هناك كثيرا

---

١ – العصر / الآية ٣.
٢ – البخاري وغيره / التجريد الصريح ج١ ص ٥.
٣- التأصيل الإسلامي للدراسات النفسية / ٤٩٣
٤ – المصدر السابق / ٤٩٣.

من النصوص تتحدث عن المنشط والمكره، أو الشره والفترة أو الكسل ومن ذلك ما جاء في مسند البزار «ذكر عند رسول الله قوم يجتهدون في العبادة اجتهادا شديدا فقال: تلك ضراوة الإسلام، ولكل شرة فترة..» الحديث[1]، وفي البخاري وغيره عن عبد الله بن عمرو «.. فقال - أي النبي ﷺ - كيف تصوم ؟ فقلت كل يوم، قال كيف تختم ؟ قلت كل ليلة، قال صم من كل شهر ثلاثة، واقرأ القرآن في كل شهر، قلت أطيق أكثر من ذلك..[2]» وزاد ابن خزيمة» إن لكل عمل شرة ولكل شرة فترة، فمن كانت فترته إلى سنتي فقد اهتدى[3]».

إن الذي نستنبطه من هذه الأحاديث يعطينا مؤشرات أولية يمكن البناء عليها لتطوير نظرية إسلامية حول «الفعالية» ومن ذلك:

١- تفاوت الناس حتى بين الصحابة الكرام – رضي الله عنهم – في «الفعالية» وهذا أمر واقع ومشاهد في كل جيل، حيث أن الدوافع متشابهة في البيئة الإيمانية فالرغبة بالتزود من الصالحات تبعثها آيات الترغيب والترهيب التي يقرأها ويسمعها كل الناس لكن النشاط العملي الذي يمثل استجابة لهذه الرغبة أو «الدافع» يختلف من شخص لآخر، ويمكن المقارنة هنا بين عبد الله بن عمرو والرجل الذي قال «والله لا أزيد على هذا ولا أنقص» [4].

٢- التفاوت في مراحل الاستجابة العملية لدى الشخص الواحد

١ - مسند البزار ج٦ ص٣٨٣.
٢- التجريد الصريح ج٢ ص١٢٦.
٣ - صحيح ابن خزيمة / ج ٣ ص ٢٩٣
٤ - البخاري / التجريد الصريح ج١ ص ١٣

كما قال الرسول الكريم «لكل عمل شرة ولكل شرة فترة «وقد يكون هذا لأسباب خارجة عن نطاق الطباع كالمرض والهرم كما يشير حديث عبد الله بن عمرو في آخره» فليتني قبلت رخصة رسول الله ﷺ وذاك أني كبرت وضعفت[1]«وقد يكون لانخفاض مستوى «الانفعالية» وإلى هذا أشار قول الرسول الكريم آنفا في تعليله للذين يجتهدون اجتهادا شديدا في العبادة «تلك ضراوة الإسلام» وربما يكون هذا بسبب التفاوت بمستوى «الترجيع» والذي سيأتينا في المبحث القادم.

٣- الربط بين هذه الفعالية وتلك "الانفعالية" وقد ظهر هذا جليا في قوله عليه الصلاة والسلام "تلك ضراوة الإسلام" في تعليله لشدة العمل عند بعض الناس.

بقي أن نعرف هل الفعّالية ثابت من ثوابت الشخصية أو هي مكتسبة وخاضعة للتأثير؟ يقول حجة الإسلام الغزالي وهو يتحدث عن الغضب: «اعلم أن الله تعالى لما خلق الحيوان معرضا للفساد والموتان بأسباب في داخل بدنه وأسباب خارجة عنه أنعم عليه بما يحميه من الفساد ويدفع عنه الهلاك إلى أجل معلوم.... فافتقر إلى قوة وحمية تثور من باطنه، فتدفع المهلكات عنه، فخلق الله طبيعة الغضب... وغرزها في الإنسان، وعجنها بطينته، فمهما صُدّ عن غرض من أغراضه ومقصود من مقاصده اشتعلت نار الغضب«[2].

ثم يقول الغزالي - رحمه الله -: «ثم إن الناس في هذه القوة على

---

١ - البخاري / التجريد الصريح ج٢ ص ١٢٦

٢- إحياء علوم الدين / ج٣ ص ٣٢١،

درجات ثلاث في أول الفطرة من التفريط والإفراط والاعتدال»[1]. إن النقاط البارزة التي أثارها الإمام الغزالي خطيرة وعلى صلة وثيقة بما توصل إليه الباحثون المعاصرون في هذا الشأن، ويمكن تلخيص هذه النقاط بالآتي:

١- أن الغضب قوة ذاتية طبع عليها الإنسان وهي معجونة بطينته.

٢- أن هذه القوة تمثل استجابة لحاجة ذاتية لتحقيق مقصود أو دفع ضرر.

٣ – أن الناس يتفاوتون في هذه القوة من أصل الفطرة.

إن الغزالي هنا يكاد يتفق تماما مع آخر نظريات علم الطباع في هذا المجال، فالقوة الذاتية المطبوعة في الإنسان والتي تمثل استجابة للحاجات أو «الانفعالات» هي «الفعالية» فالغضب عند الغزالي قوة ذاتية تلبي حاجات ذاتية، وهي عنده متفاوتة بين الناس في أصل الفطرة، وهذا ما يقرره الباحثون المعاصرون، بقي أن نعرف أن الغزالي وهو يقرر هذه النظرية بأبعادها راح ليصف العلاج للغضب الذي يتجاوز حدود الشرع والعقل، فإذا كان الغضب طبعيا كيف يمكن علاجه؟!

حقيقة أن الغزالي في كل معالجاته لا يتطرق لمعالجة أصل الغضب، وإنما للسلوكيات الناتجة عنه كالسب والشتم والضرب والقتل..الخ والغزالي لا يتركنا نستنتج هذه الحقيقة وإنما يصرح بها فيقول: «ومن آثار هذا الغضب في الظاهر...فتغير الظاهر ثمرة تغير الباطن.. وأما أثره في اللسان فانطلاقه بالشتم والفحش...وأما

١- إحياء علوم الدين / ج٣ ص ٣٢٢

أثره على الأعضاء فالضرب والتهجم والتمزيق والقتل... وأما أثره في القلب... فالحقد والحسد[1]» إذاً هناك فرق عند الغزالي بين هذه القوة والسلوكيات الناتجة عنها، ولذلك يتجه العلاج عنده لضبط هذه السلوكيات فيقول: «فليست الرياضة فيه لينعدم غيظ القلب، ولكن لكي يقدر على أن لا يطيع الغضب ولا يستعمله في الظاهر إلا على حد يستحبه الشرع ويستحسنه العقل[2]» وهذه السلوكيات ليست طبعا ثابتا حتى عند علماء هذا الفن، بل هذه السلوكيات يمكن أن تتغير وتهذب بحسب العوامل الخارجية كالدين والثقافة والعرف..الخ وربما يؤيد هذا قوله عليه الصلاة والسلام «ليس الشديد بالصرعة إنما الشديد الذي يملك نفسه عند الغضب[3]» فالتكليف الشرعي منصب على السلوك الناتج عن الغضب وليس على الغضب نفسه والمطلوب ضبط هذا السلوك بضوابط الشرع وهذا هو المعنى المتبادر للحديث ولكن يرد عليه حديث « أن رجلا قال للنبي ﷺ أوصني ، قال: لا تغضب» [4] فيقول الخطابي – رحمه الله – :» معنى قوله لا تغضب اجتنب أسباب الغضب، ولا تتعرض لما يجلبه، وأما نفس الغضب فلا يتأتى النهي عنه لأنه أمر طبيعي لا يزول من الجبلة « ويضيف ابن حجر – رحمه الله – :» وقيل معناه لا تفعل ما يأمرك به الغضب[5] « والخطابي هنا يشير إلى قضية أخرى يؤكدها

---

١ – إحياء علوم الدين / ج٣ ص ٣٢٣.
٢ – إحياء علوم الدين / ج٣ ص٣٢٥.
٣ – البخاري / التجريد الصريح ج٢ ص١٥١.
٤ – المصدر السابق.
٥ – فتح الباري ج ١٠ ص ٥٢٠.

علماء النفس المعاصرون – وقد مرت بنا – أن الحاجات أو الدوافع التي تثير «الانفعالية» ثم «الفعالية» تتغير وتختلف من إنسان لآخر ومن ظرف أو بيئة لأخرى.

ثالثاً - الترجيع

وهو الركن الثالث وحجر الزاوية في أساسيات علم الطباع، وقد يبدو غريبا بعض الشيء عن مصطلحاتنا في الثقافة الإسلامية وإن كان له أصل عميق في اللغة العربية، فقد جاء هذا اللفظ في لسان العرب بمعان لا تبعد بمجموعها عن معنيين اثنين (الترديد) و(التكرار)[1].

أما في علم الطباع فالذي يمكن تلخيصه أن نقول (هو المدى الزمني للتأثيرات والتفاعلات النفسية) وهذا يشمل (الذاكرة النفسية) و(القدرة على استدعاء الماضي) و (التداعيات المتسلسلة أو المتشعبة للتأثر النفسي) و(القدرة على المطاولة لتحقيق الأهداف الصعبة أو البعيدة) ولنرَ هذه المعاني في بعض الأسئلة التي وضعتها المدرسة الفرنسية كجزء من اختبار هذا الركن في الشخصية :

س / أتفكر في مستقبلك البعيد وتدخر لشيخوختك مثلاً ؟

س/ أتنجز دائما ما بدأت به من عمل ؟

س/ بعد أن يجرح شعورك أحد أتصفو نفسك بسرعة ؟

س/ أتحافظ على صداقات الطفولة ؟ [2]

لقد اخترت أن أضع هذه النماذج من الأسئلة في مقدمة هذا الموضوع لتكوين الصورة الأوضح لهذا المصطلح، وهي في تقديري لا

---

١ - لسان العرب لابن منظور ج ٥ ص ٤٧٢ – ٤٧٣.

٢ - ينظر علم الطباع المدرسة الفرنسية فصل (الترجيع) ص٥١-٥٤

تبعد كثيرا عن معاني التكرار والترديد التي وردت في لسان العرب، ولتقريب الصورة أكثر لنأخذ هذا المثل :

أنت أستاذ تحاضر أمام الطلبة وبينما كنت متحمساً في الإلقاء وقعت عينك على أحد الطلاب وهو ينظر في ساعته فأمامك عدد من التصرفات التي يمكن أن تقوم بها مثل :

- تنظر أنت في ساعتك للتأكد من عدم انتهاء وقت المحاضرة.
- تؤنب الطالب على انشغاله أو استعجاله.
- تحرص أكثر على ملاحظة الطلاب في المحاضرات القادمة.
- تخطط للمحاضرات القادمة بشكل أكثر دقة في توزيع المحاور على الوقت.
- تشعر بعدم الرضا عن هذا الطالب وتحتفظ بصورته في ذهنك.

إن هذه السلوكيات هي التي تعبر عن مستوى (الترجيع) في طبعك، فالذي يكتفي بالسلوكيات القصيرة المدى فهو ذو ترجيع (قريب) والآخر الذي يؤثر فيه هذا الحدث بمديات سلوكية أطول وأوسع هو ذو ترجيع (بعيد).

إن كل من يجوع يبحث عن الطعام، فالجوع حاجة أثارت انفعالا معينا وهذا الانفعال قاد إلى فعالية معينة وهي عملية البحث عن الطعام، أما ادخار الطعام وادخار المال اللازم لشراء الطعام والنهم المستمر في اكتساب الثروة وتخزينها ثم الطمع والشح..الخ فهذه تداعيات متصلة بمستوى الترجيع عند هذا الشخص أو ذاك.

لقد وصل الاهتمام بهذا الركن عند بعض علماء النفس أن جعلوه

هو المسئول الأول عن سلوكياتنا! يقول سكنر المتوفى سنة ١٩٠٤م: «ومن هذا المنظور يكون الإنسان حصيلة التعزيزات الماضية[١]» ويعزز سكنر نظريته هذه فيقول: »يظهر الرضيع عددا كبيرا من السلوك العشوائي التلقائي والبعض منه يعزز من قبل والديه وعندما يكبر الرضيع فالسلوك المعزز ايجابيا يستمر بينما الأنواع الأخرى من السلوك لا تستمر»[٢] وأضاف : «الطريقة الوحيدة التي تمكننا من التنبؤ والتحكم في السلوك هو بربطها بالأحداث السابقة[٣]».

لقد تابع دوان شلتز حياة سكنر الشخصية فكتب عنها: «يحتوي تاريخ حياة سكنر الذاتي على عدد من الإشارات تتعلق بسلوكه في مرحلة الرشد لما كان يعطى من نصائح وتعليم في طفولته» ويضرب شلتز مثالا فيقول « عندما كان سكنر طفلا كان يحب المدرسة إلى درجة أنه كان أول طفل يصل إليها في الصباح.... وقد حصل على شهادة الدكتوراه في ثلاث سنوات نتيجة للتفاني والجهود الهائلة التي كان يبذلها[٤] » وهذا يعني أن سكنر نفسه كان يمتلك ترجيعا بعيدا فكأنه كتب نظريته من تجربته الشخصية لأن الواقع يشهد أن الناس متفاوتون في هذه الصفة.

ربما لا نحتاج أن نكرر أن الترجيع صفة ثابتة غير قابلة للتغيير وكذلك هي صفة متفاوتة بين الناس فمنهم ذو ترجيع بعيد ومنهم ذو ترجيع قريب والآخر متوسط، لكن الذي لا بد من ذكره نقطتان:

---

١ – نظريات الشخصية ص ٣٦٩.

٢- نظريات الشخصية ص ٣٧٧.

٣ – نظريات الشخصية ص ٣٦٥.

٤- نظريات الشخصية ص٣٧١- ٣٧٢.

الأولى: أن الترجيع كيفما كان لا يعد صفة مدح ولا صفة ذم فهو ليس خلقا بحد ذاته فقد يكون ذو الترجيع البعيد مصلحاً وقد يكون مجرماً وهكذا في الآخَرين، فالترجيع لا يصنع الحدث أو الأثر وإنما هو قدرة النفس على التفاعل مع هذا الحدث أيا كان لفترة ما.

الثانية: أن الترجيع البعيد شرط في الصفات القيادية في أي اتجاه كان هؤلاء القادة، فالقدرة على تحمل المشاق وتجاوز العقبات والتخطيط للأهداف البعيدة لا يمكن أن تكون إلا في قيادات تمتلك كل أبعاد الترجيع ومعانيه، ولهذا هناك ما يشبه الجزم أن كل قادة العالم الناجحين في مشاريعهم أياً كانت هم ممن يمتلك هذه الصفة حتى لو كان هناك نقص في الانفعالية مثلا كالشخص اللمفاوي أو نقص في الفعّالية كالشخص العاطفي، لأن النقص في الانفعالية قد يكون في بعض الأحيان صفة إيجابية في القائد إذا كان في دولة مستقرة تريد أن تحافظ على استقرارها، والنقص في الفعالية يمكن أن يعوّض بالجند والأتباع وقابليتهم على العمل، لكن من غير المتصور وجود قائد ينسى هدفه أو يمل من المواصلة..الخ ولذلك يقول روبين هاريس :» أحسن القادة هم المشبوبون عاطفيا نحو الهدف [1]«.

---

١ - قواعد ومعدات للقادة ص٤٩.

الترجيع من منظور إسلامي :

المعروف في الأدبيات الإسلامية التركيز على مفهوم (الاستقامة) كجانب تكليفي شرعي وكخلق إسلامي حميد في مقابل (الإصرار على الذنب) الذي يحيل الصغائر إلى كبائر، حتى قيل: لا صغيرة مع الإصرار، ولا كبيرة مع الاستغفار، لكن هذا ليس هو الذي يدخل في علم الطباع مع أنه يلتقي مع الترجيع في الاستذكار والتكرار، لأن الاستقامة معناها الاستمرار على الطاعة وهذا يكلف به كل مؤهّل للتكليف، والاستمرار هذا يتأتى ممن يمتلك الترجيع البعيد أو القريب وهذا هو لازم التكليف، لكن أهل الاستقامة منهم من يحتاج إلى تجديد الانفعالية باستمرار فلو نسي أو غفل تعرّض للانتكاس، ولذلك هم في جهاد نفسي مستمر بالذكر والمحاسبة والمراقبة للحفاظ على ديمومة الاستقامة، وهؤلاء هم أصحاب الترجيع القريب، أما أولئك الذين سمعوا كلمة الحق فآمنوا بها ثم انطلقوا بثبات لنهاية المشوار فهؤلاء هم أصحاب الترجيع البعيد المطمئنون في سيرهم والذين لا يزيدهم الذكر أو العبادة إلا شوقاً للاستمرار والمزيد.

ومن هنا نستطيع القول: إن كل النصوص الدينية التي تتحدث عن الاستقامة والثبات على الحق أو التي تندد بأهل العناد الباطل والإصرار الآثم لا دخل لها في موضوع (الترجيع) كمقوم أساس من مقومات علم الطباع، لكن الناس الذين يتفاعلون مع هذه النصوص ممكن أن نرى صفاتهم الطبعية من خلال التطبيق وملاحظة السلوك الشخصي.

إلا أن هناك بعض النصوص والإشارات الإسلامية أكثر صلة بالموضوع ومن ذلك حديث رسول الله ﷺ : " ألا وإن منهم البطيء الغضب سريع الفيء، ومنهم سريع الغضب سريع الفيء، فتلك بتلك، ألا وإن منهم سريع الغضب بطيء الفيء، ألا وخيرهم بطيء الغضب سريع الفيء، ألا وشرهم سريع الغضب بطيء الفيء[١]» وجاء في تحفة الأحوذي شرحا لهذا الحديث « إن كماله أن تغلب له الصفات الحميدة على الذميمة، لا أنها تكون معدومة فيه بالكلية، وإليه الإشارة بقوله تعالى (والكاظمين الغيظ) حيث لم يقل والعادمين إذ أصل الخلق لا يتغير ولا يتبدل[٢]» وجاء في فيض القدير شرحا لهذا الحديث أيضا «والناس مختلفون فيه فبعضهم كالحلفاء سريع الوقود سريع الخمود، وبعضهم كالغضا بطيء الوقود بطيء الخمود[٣]».

أما من حيث التفاعل البشري مع هذه النصوص وسمات القادة المسلمين الأوائل فتتجلى هذه السمة بشكل أوضح، وهناك محاولة سابقة في هذا المجال للدكتور السيد إبراهيم الجميلي، أقتبس منها هذا المقطع:

«في حوار خاطف سريع بين معاوية بن أبي سفيان وبين عمرو بن العاص نستطيع ـ من تحليل السياق والوقوف على المآتي والمصادر والحوافز النفسية والخوالج المطمورة في مطاوي السريرة ـ أن نستخلص الطبع والشخصية وإمكاناتها وأبعاد القدرات الخاصة، سيّما

١- الترمذي وقال :حسن صحيح، ج٤ ص ٤٨٤.

٢ - تحفة الاحوذي ج٦ ص ٣٥٨.

٣ - فيض القدير ج٢ ص ١٨٠، والحلفاء والغضا من أشجار الصحراء المعروفة .

الميتافيزيقية، وهي ما وراء الظواهر التي تلوح عن الخواطر والبوادر ولكن تكمن وراء أسجافها وستورها ألغاز وحوافز أو كوابح غامضة أو خفية محجوبة.

قال معاوية: ما بلغ من أمرك يا عمرو؟.

قال عمرو: يا أمير المؤمنين، ما دخلت في أمر إلا وخرجت منه...

قال معاوية: لكني ما دخلت في أمر، وأردت الخروج منه.

ونقول: إن شخصية عمرو بن العاص تلوح ركائزها وعمق جذورها الراسخة المكينة من خلال هذه الفقرة المحدودة، إذ إن النكرة في سياق النفي تفيد العموم، على ما ذكر علماء النحو.

وقوله: (ما دخلت) نفي.

وقوله: (أمر) نكرة، وهذه النكرة المسوقة في إطار النفي أفادت العموم لأجل ذلك، ومفاد هذا: أنه في أي أمر (على العموم والإطلاق) مهما كان شأنه ما دخل فيه عمرو بن العاص إلا وخرج منه. وهذا يدل على قوة العارضة والثقة الفارطة بالنفس. وحدة الذكاء، وحضور البديهة واليقظة التامة، كلها من مقومات تلك الشخصية التي لا تبالي أي الأمور تنخرط في أتونها، فهي مستعدة لاستدعاء كل طاقتها وكوامن قدراتها للخروج من المآزق المتوقعة والمروق من الكوارث والإفلات الخاطف من أية نازلة أو نائبة في أي وقت في أي مكان وفي أي زمان: وكذلك كان عمرو بن العاص حقاً، وبذلك طارت شهرته في الآفاق كأحد دهاة العرب...

أما معاوية ــــ رضي الله عنه ــــ فكان من الطبع اللمفاوي،

الذي يتروى ويستشير، ويستأنس بآراء المقربين منه وغير المقربين من أهل الرأي الموثوق بهم... فهو إذا دخل في أمر (لا يريد) الخروج منه لأنه اختاره بإرادته الحرة الواعية، ولا يتم ذلك إلا بعد مشاورة واستئناس ودراسة وتقويم لكل الأخطار المتوقعة واستحضار كل البدائل والممكنات... ومن ثم يكون مطمئناً تماماً لأن هذا الاختيار هو أفضل وأنسب اختيار ولا يسد مسدّه أو ينوب عنه اختيار آخر... من ثم، فلا موجب ولا مدعاة للتفكير في إرادة الخروج منه بعد دراسة الجدوى بجدية وتقويم.

كلا الرجلين له طبعه وله شخصيته، وكلاهما واجه التاريخ بصفحة حافلة من الأحداث الجسام التي تتآزر جميعها على التأكيد على ما ذهبنا إليه من تحليل طباعي لكلا العملاقين من الصحابة... فرضي الله عنهم أجمعين. "[1].

نعم وكأن الصحابيين الجليلين يتباريان في سمة (الترجيع البعيد) فعمرو الذي لا يدخل في أمر إلا وهو عالم بطريق الخروج منه فهو صاحب رؤية عميقة وتخطيط شامل وبعيد ومستوعب لكل الاحتمالات الحالية والمستقبلية، أما معاوية ــــ رضي الله عنهما ــــ فعبر بشكل أكثر بلاغة بحيث أنه لايحتاج إلى الخروج من أمر اختار الدخول فيه أصلا !

١- مقالة للدكتور الجميلي بعنوان (الإشارات القرآنية إلى الطبائع البشرية) في الموقع الاليكتروني (موسوعة الإعجاز العلمي).

أنماط الشخصية

علم الطباع بأسسه التي مرّت بنا يقود إلى تصنيف ثماني لأنماط الشخصية، حيث أن نمط كل شخصية يتحدد من خلال الدرجات التي حصل عليها الشخص في (الانفعالية) و(الفعّالية) و(الترجيع) وبتزاوج هذه المقوّمات تظهر شخصية الإنسان بنمطها المحدد والذي يميزها عن الشخصيات الأخرى، وكما هو ملخص في الجدول الآتي:

ت	الانفعالية	الفعالية	الترجيع	نمط الشخصية
١	مرتفع	مرتفع	بعيد	شخصية جموحة
٢	مرتفع	مرتفع	قريب	شخصية غضبية
٣	مرتفع	منخفض	بعيد	شخصية عاطفية
٤	مرتفع	منخفض	قريب	شخصية عصبية
٥	منخفض	مرتفع	بعيد	شخصية لمفاوية
٦	منخفض	مرتفع	قريب	شخصية دموية
٧	منخفض	منخفض	بعيد	شخصية خاملة
٨	منخفض	منخفض	قريب	شخصية هلامية

ومع أن هذه المصطلحات محل نظر إلا أني ارتأيت الحفاظ عليها لسببين الأول: لتسهيل عملية المقارنة بين هذا البحث والأبحاث التخصصية التي دأبت على استخدام هذه المصطلحات،

والثاني: أن سمات الشخصية مفصّلة في هذا البحث بشكل واف، وهذا التفصيل كفيل بإزالة الضباب وحالة الالتباس بين هذه المصطلحات.

الشخصية الجموحة

الجموح هو الانفعالي الفعّال ذو الترجيع البعيد.

تتسم هذه الشخصية بالحركة المستمرة والعزم وسرعة الفهم وقوة الملاحظة والاستقلال في الرأي، يهتم بالمبادئ والقيم التي يؤمن بها، يفضل مجالات الفكر والسياسة والإدارة على الجهد البدني، شغوف بالتاريخ والتجارب القيادية الأخرى، غير مكترث بحاجاته المادية أو الجسدية الخاصة، له رغبة في خوض التجارب بنفسه وله القدرة على الاستفادة من أخطائه وأخطاء غيره، يتفاعل مع الأحداث بقوة إلى الحد الذي تترك بصماتها على شخصيته لفترات طويلة جدا قد تبقى معه إلى الموت، فهو قادر على المواصلة والمطاولة بنفس طويل.

هذه الشخصية مؤهلة لصناعة الأدوار الكبيرة، ولذلك ينبغي للمجتمع أن لا يسمح لهؤلاء بالانشغال في حاجاتهم الخاصة ولا بالوظائف أو الأعمال التي هي وسائل لكسب الرزق، إن هؤلاء مؤهلون ليكونوا قادة المجتمع، وإن المجتمع الذي لا يحسن الاستفادة من هذا النمط سيبقى مجتمعا متخلفا، بل هو لو لم يكن متخلفا في الأصل لما أهدر هذه الطاقات!

نعم هناك مخاوف حقيقية من هذا النمط حيث أن هذه الطاقات سلاح ذو حدّين فبقدر ما تكون نافعة لنهضة المجتمع قد تكون سببا كذلك

للانشقاقات والثورات الداخلية، ولذلك تلجأ الجماعات التي تعاني من هذا الهاجس إلى تهميش هؤلاء واستبعادهم من صفها، لتبقى هي أيضا مهمشة وبعيدة عن ريادة المجتمع، وتجربة بعض الجماعات الإسلامية اليوم وخاصة التجربة العراقية مثال شاخص على هذا حيث لم يتمكن ائتلاف (التوافق) الذي يضم الحزب الإسلامي العراقي وبعض القوى المتحالفة معه من الحصول إلا على ستة مقاعد في البرلمان العراقي المكوّن من ٣٢٥ مقعدا !! في انتخابات ٢٠١٠ م.

إن أي مجتمع يطمح للنهوض لا يمكن إلا أن يضع خطة مبنية على أسس علمية للاستفادة من خصائص هذا النمط المتميز في الشخصية الإنسانية، ويمكن هنا أن نشير إلى بعض المقترحات التي نراها نافعة بهذا الصدد :

١- لا بد أن يكون سقف المؤسسة أو الجماعة أعلى وأوسع من إمكانيات الجموح، وهذا لا يكون إلا في حالتين: وجود قائد فذ كما حصل في شخص صلاح الدين الأيوبي ومحمد الفاتح، أو وجود قيادة مشتركة مشكلة من إمكانيات متفوقة في مجال تخصصها بحيث تشكل بمجموعها فضاء واسعا أعلى من إمكانيات الفرد، وبعكس هاتين الحالتين فإن بقاء الشخصيات الجموحة داخل هذه الجماعة غير مضمون وربما غير مقبول مهما كانت أدوات التحكم والانضباط داخل الجماعة، والجماعة التي لا تستطيع أن توفر بقياداتها هذا السقف لن تحتفظ إلا بالأنماط الأخرى التي لن تتمكن من صناعة أي قدر من النمو أو التغيير المطلوب.

٢- في المجال التنظيمي من المستحسن أن يعمل الجموح تحت إمرة جموح مثله وقريب من تخصصه واهتماماته، وبهذا يتحقق قدر كبير من الانسجام النفسي والتفاعل الإيجابي، حيث أن القائد الجموح يضطر وبسرعة إلى تطوير إمكانياته الذاتية كلما أحس بنمو في من هم تحت إمرته، وهذا متوقع بحكم انفعاليته الشديدة التي تمكنه من المتابعة والمراقبة لكل ما يجري حوله وبحس مرهف، وكذلك بحكم فعّاليته العالية التي ترفض الكسل واللامبالاة، والجندي الجموح سيكون فخورا بقائد من هذا النمط وسيقبل أوامره بشغف ولهذا يشخص علماء الطباع هذه الحالة الإيجابية بوضوح (ومن أجل ذلك نرى الجموح لا يحب أن يقود فحسب بل يرضى أيضا أن يقاد، إنه يحب أن يطاع كما يحب أن يطيع، ويظل يطيع إلى أن يحتل مركز القيادة التي تطاع)[١].

وعلماء الطباع كثيرا ما يضربون مثلا بشخصية هتلر الذي عرف أكثر من غيره بشدة انضباطه في مراحل تدرجه العسكري.

٣- أن يعطى الجموح فرصة مناسبة لتطوير نفسه، ويمكن بهذا الصدد أن تعمد الجماعة إلى تكوين محاضن خاصة لتلبية احتياجات تحت اسم (مراكز المتميزين) مثلا توفر فيها أدوات التطوير والإبداع واكتشاف الطاقات وأن يتم في هذه المراكز تأكيد التربية الروحية التي تعد صمام الأمان لتلافي الانزلاقات الخطيرة المتوقعة لهذا النمط بسبب شدة الانفعالية مع قوة الفعالية.

٤- تجنب تجريح الجموح أو إهانته لأي سبب كان لأن تجريح

---

١ - علم الطباع في المدرسة الفرنسية ص ١٥٣.

الجموح معناه خسارته في الأغلب، حيث أن الجموح يمتلك انفعالا عاليا وحسا مرهفا، كما أنه يمتلك فعالية وقدرة على التنفيذ، فإذا أضيف إلى هذا ترجيعه البعيد الذي يمكنه من الاحتفاظ بذاكرة التأثر الطويلة الأمد فإنه يصعب بعد كل هذا البحث عن مخرج مناسب لتجاوز مثل هذه الأزمة، وربما يصح هنا الاستئناس بحديث المصطفى عليه الصلاة والسلام (أقيلوا ذوي الهيئات عثراتهم إلا الحدود) [١]، وهذا لا يعني أبدا السكوت عن أخطاء الجموح ولكن المطلوب البحث في أسباب الخطأ ودفع الجموح لتصحيح خطئه بنفسه (إن الصيغة الطباعية للجموحين تسهل تأثير كل واحد منهم في نفسه) [٢] فالقائد الناجح هو الذي يتمكن من إقناع الجموحين من أتباعه بتصحيح أخطائهم بأنفسهم، وأذكر بهذا الصدد مثالا حصل معي يوم كنت طالبا في المدرسة الآصفية في مدينة الفلوجة وكنت قد فاتتني صلاة الفجر بسبب النوم وكان هذا في عرف الآصفية كبيرة، ويبدو أن الشيخ علم بهذا فأخذ بيدي في وقت آخر وقال لي « يا محمد كيف همتك مع الله؟ كيف أنت وصلاة التهجد ؟!» شعرت حينها بالخجل من نفسي، وشعرت في المقابل باحترام كبير للشيخ لأنه اختار طريق التصحيح الذي يرفع من الهمة ولا يخدشها.

---

١ - أبو داود والبيهقي وأحمد وغيرهم، سنن أبي داود ج ٤ ص ١٢٢، وسنن البيهقي الكبرى ج ٤ ص ٢١٠ .

٢- علم الطباع في المدرسة الفرنسية ص ١٦٠.

نمـاذج الجموحين:

لأهمية هذا النمط رأيت أن نتوسع في تصنيفه، وبيان الصيغ التي من الممكن أن تؤول إليها هذه الشخصية بحسب استعداداتها المتنوعة وضغوط البيئة والمجتمع المحيط، حيث يمكن اختصار كل هذا في النماذج الآتية :

الجموح المعذب: وهو الجموح الذي لا يتمكن من تحقيق كل انفعالاته، حيث تتدنى عنده الفعّالية لأسباب مختلفة، فيحوّل هذه الانفعالات لمجالات بعيدة عن مساراتها الحقيقية، ولذلك ترى في بعض الشعراء الجموحين أو الفنانين الذين تختفي خلف أعمالهم روحا وقادة ومتطلعة للمجد ومعالي الأمور، وقد رأيت نموذجا شاخصا في التجربة الإسلامية العراقية، الشيخ الداعية الذي ألّف في صناعة الحياة وكتب في التربية والمناهج الطموحة لكنه اصطدم بصخرة الواقع المر فعاد يرسم طموحاته وآماله على الورق في الوقت الذي كان المقربون منه يتأملون فيه قائدا يخلصهم من وهدة التأخر والانكفاء ويقفز بهم في فضاءات العمل الميداني والتنافسي.

الجموح الهادئ والمتوازن: وهؤلاء هم الذين يعيشون في البيئة المستقرة التي توفّر قدرا لا بأس به من مجالات الأنشطة المتعددة ومساقات الإبداع الهادئ المنضبط بقانون محترم، وحالة من العيش المقبول الذي لا يرغب أهله بالمغامرات والمفاجآت التي قد تجعلهم

يخسرون مكاسب هذه الحالة، إنه باختصار (الجموح الديمقراطي) فلو أخذت مثلا دولة مثل فرنسا أو السويد فإنها لا شك تحتضن عددا كبيرا من الجموحين، ولكن هذه الشخصيات الجموحة لا ترى حاجة ‌في القفزات البعيدة والانقلابات الكبيرة، وإنما هو الطموح داخل هذا السور المرغوب به من الديمقراطية والرفاه والاستقرار، تجدر الإشارة هنا أن الجموحين الذين يعيشون في أجواء روحانية (صوفية) ويتشبعون بثقافة الزهد في الدنيا والابتعاد عن حظوظ النفس قد يندرجون تحت هذا العنوان لكن سلوكهم الهادئ هذا يخبئ تحته طموحا متصاعدا للوصول إلى مراتب السلوك الروحي وبين هؤلاء من التنافس في هذا الميدان مما لا يعرفه غيرهم ولذلك قال قائلهم (نحن في لذة لو علم بها الملوك لجالدونا عليها بالسيف)

الجموح الصارم: وهؤلاء هم أبطال التاريخ والقوة التغييرية الحقيقية في كل أمة، هؤلاء هم المناط بهم تحقيق النقلات الواسعة، يروى عن هتلر أنه كان يردد (سأبني إمبراطورية تدوم ألف عام)، هؤلاء الذين عناهم الشاعر العربي بقوله :

إذا الناس قالوا من فتى خلت أنني

عنيت فلم أقعد ولم أتبلد

***

والذين قال فيهم الشاعر الصوفي عبد الكريم الجيلي :

ومذ كنت طفلا فالمعالي تطلبي
وتأنف نفسي كل ما هو واضع
ولي همة كانت وهاهي لم تزل
على أن لي فوق النجوم مواقع

***

وربما عبّر عن هذا النبي الكريم سليمان بن داود – عليه السلام – بقوله: ﴿ قَالَ رَبِّ ٱغْفِرْ لِي وَهَبْ لِي مُلْكًا لَّا يَنۢبَغِي لِأَحَدٍ مِّنۢ بَعْدِيٓ ۖ إِنَّكَ أَنتَ ٱلْوَهَّابُ ﴾[1].

لقد أتيحت لهؤلاء فرصة التعبير عن ذاتهم فنالوا قسطا من التعليم وقدرا لا بأس به من تعاون المجتمع فاستطاعوا بهذا وبإمكانياتهم الذاتية أن يتخطوا العقبات ويعالجوا التحديات، لقد استمتعوا بلذة الصراع والمواجهة، الصراع مع عوامل الضعف الداخلي (الشهوات والملذات الهابطة) والصراع مع جواذب العادات والتقاليد المعطلة، والصراع مع شراسة المنافسين في الميادين المختلفة.

١ – سورة ص، الآية ٣٥.

الشخصية الغضبيّة

الشخص الغضبي هو: الانفعالي الفعّال ذو الترجيع القريب، فهو يتحسس ويتأثر بقوة، ولديه القدرة على الاستجابة لانفعالاته بنشاط وحيوية، وهذا ما يجعله في نظر الناس قريبا من شخصية الجموح، لكنه في الحقيقة يختلف عن الجموح بفارق جوهري حيث هو لا يصلح للمشاريع الطويلة والأدوار التي تحتاج للنفس الطويل، وما ذاك إلا لضعف في ترجيعه، ولذلك يقول علماء الطبع: (الغضبي دون الجموح في تنظيم عمله، وفي حبس نشاطه على غاية بعينها، وفي استهداف أهداف بعيدة جدا، أو كبيرة جدا، وهو دون الجموح استمرارا في ملاحقة عمل واحد بعينه)[1].

يتميز الغضبي بصفات أهمها: كثرة الإشارات والحركات في كلامه، الصوت المرتفع، الحياة الصاخبة والمتقلبة، روح المغامرة والتغيير، الشهوة الكبيرة للطعام والشراب والجنس، سرعة الرضا والغضب، الحب المتبادل، العواطف الجياشة الروح الاجتماعية..).

إن الدور المناسب لهذا النمط هو كل الأعمال التي تتطلب قدرا كبيرا من النشاط من دون صبر ونفس طويل وتعقيدات إستراتيجية متشعبة، فهؤلاء ينجحون للخطابة والقتال وكل أعمال الجندية والأعمال البدنية والنشاطات الاجتماعية المتعددة، في حين أن هذا النمط لا يصلح للسياسة ولا للقضاء

١- علم الطباع في المدرسة الفرنسية ص١٣٢.

ولا يصلح للتخطيط والإدارة، ولا لقيادة الجماعات أو الدول والمؤسسات الكبيرة.

يمكن معالجة الإشكالات الناتجة عن هذا النمط، بالصبر عليه لحين هدوئه وتغيير مزاجه،ثم مصارحته بالنصيحة إذا توفر جو من العلاقة العاطفية الحميمة.

الشخصية العـاطفية

العاطفي هو: الانفعالي اللافعّال ذو الترجيع البعيد، بمعنى أنه يتحسس ويتأثر بقوة ويحتفظ بذاكرة مديدة لأحاسيسه وتأثراته فهو لا ينسى من أحسن أو أساء إليه مثلا، لكنه لا يمتلك النشاط لتحويل كل تلك التأثرات إلى عمل واقعي مؤثر ! ولذلك تتحول هذه الأحاسيس و التأثرات إلى مشاعر عميقة في النفس تقاوم النسيان وربما تظهر فيما بعد على شكل (مذكرات شخصية) أو (قصائد وجدانية) يخاطب الشاعر فيها نفسه ! وربما يسعى لنشر هذه المذكرات أو القصائد إذا أحس أن الناس ينتظرون منه ذلك، لكنه في الغالب لا يكلف نفسه ويدع الأمر للقدر فربما يعثر على كتاباته هذه أحد محبيه فيكفيه مؤونة ذلك.

يتميز العاطفي بصفات كثيرة منها: استحضار الماضي بآلامه وآماله، الطموح الخيالي (أحلام اليقظة)، المزاج المتقلب (انبساط – انطواء، فرح – حزن)، العلاقات المتقلبة، الشك والوسواس، الكسل وقلة النشاط، محبة الصغار والحيوانات الأليفة والزهور، محبة الخير للناس خاصة الضعفاء وكبار السن.

لا يمكن الاستفادة من هذا الصنف في الوظائف القيادية ولا تلك التي تتطلب صرامة في الحكم والموقف مثل القضاء والإفتاء، ولا يناسب هذا الصنف الأعمال البدنية التي تتطلب قدرا من الجهد، ولا تلك التي تتطلب احتكاكا تنافسيا في المجتمع كالتجارة ونحوها، إن الذي يناسب هؤلاء الشعر والأدب وربما الوظائف المكتبية وكذلك الأعمال الإنسانية كالطب والصيدلة أو الخيرية كرعاية الأيتام والمعاقين.

كل الذي يحتاجه العاطفي ليقوم بدوره على أكمل وجه هو الحب! أن يتأكد أن مجتمعه يحبه وأنه يقدر خدماته وإنجازاته، وهو بالتأكيد لديه القدرة الفائقة على أن يبادل هذا الحب بحب أكبر، إنه إنسان وفيّ وودود، يهرب من المشاكل والمناكفات المزعجة، إنه سيكنّ كل الحب لمن سأله رقم هاتفه مثلا أو ضغط على يده عند المصافحة أو طلب منه صورة تذكارية أو قدّم له هدية رمزية، إنه يحب من أصدقائه أن يزوروه بكثرة ويسألوا عنه ويتابعوا أخباره.

إنه لمن المقلق حقا - لو فكّر الدعاة والمصلحون - أن لا يشعر هؤلاء بالسعادة في مجتمعاتنا الإسلامية، ورسولنا عليه الصلاة والسلام قد أكد وبالتفصيل كل هذه الوسائل السهلة والودودة (السلام والمصافحة والزيارة والهدية...الخ)، ما معنى أن يعيش كثير من هؤلاء في مجتمعاتنا وحتى مساجدنا وجماعاتنا الإسلامية في توتر وشقاء؟ وكل الذي يحتاجونه لإسعادهم إنما هو آداب جميلة وصفات ودودة لا تكلف إلا القليل القليل لكن الله يرتب عليها الثواب والرضوان ولنتأمل

فقط في قوله عليه الصلاة والسلام: (تهادوا تحابوا)[1].وقوله: (لا تدخلون الجنة حتى تؤمنوا ولا تؤمنوا حتى تحابوا، أولا أدلكم على شيء إذا فعلتموه تحاببتم أفشوا السلام بينكم) [2]..

وأخيرا فإن معالجة أخطاء العاطفي لا تكون بالمصارحة ولا بالتشهير فإن هذا ينفر هذا الصنف من الناس ويجعل اللقاء به مرة أخرى في غاية الصعوبة لما يتمتع به من حس مرهف وذاكرة عميقة، لكن العاطفي حقيقة من أقدر الناس على تجاوز أخطائه بنفسه إذا كان ذلك لا يكلفه عملا أو نشاطا كبيرا، وبالتالي هو لا يحتاج أكثر من المشجعات والبيئة المتعاونة معه، فلو رأيت عاطفيا وقع في معصية ما فالأمر لا يتطلب أكثر من أن تصحبه إلى مجلس ذكر أو تزور معه مقبرة قريبة أو تجلسون عند شيخ وقور ومهيب، هذه الوسائل تكفي هذا الصنف لإحداث المراجعة الذاتية وستراه ربما أقدر منك على سكب عبرات التوبة والندم.

الشخصية العصبيّة

العصبي هو الانفعالي اللافعّال ذو الترجيع القريب، فهو شديد التحسس والتأثر، إلا أنه لا يملك النشاط الكافي لتحويل انفعاله النفسي إلى أفعال، ومع هذا هو سريع التقلب ونسيان الماضي، فالعصبي مثلا شديد الغضب ولأنه قليل العمل فهو يحول هذا الغضب إلى صراخ أو تهديد دون فعل مؤثر، ولأنه لا يملك المطاولة بعيدة النفس، فإنه ما

---

١ - السنن الصغرى للبيهقي ج ٦ ص ١٦٩، والتمهيد لابن عبد البر ج ٢١ ص ١٨ .
٢- صحيح مسلم ج ١ ص ٧٤ .

يلبث أن يهدأ وينسى ما حدث تماما.

يتميز هذا النمط بصفات أهمها: تقلب حاد في المزاج، قلة الإنتاج والعمل المؤثر، حب المبالغة والتهويل في نقل الأخبار، حب السفر، سهولة تغيير السكن والمهنة والصداقات، الغيرة وربما الحسد الشديد، ضعف التقيّد بالمبادئ التي يؤمن بها، عدم الدقة في المواعيد، البذل إلى حد الإسراف.

يبدو واضحا أن هذا الصنف لا يخشى من ردة فعله العملية حتى في حالة الغضب بخلاف الجموح أو الغضبي، وهذا ربما بخلاف ما يتبادر للذهن من الاستخدام الشائع لكلمة (العصبي) لكن غالب ما يخشى منه:

١- سرعة التقلب في الولاءات والصداقات.

٢- عدم القدرة على الالتزام الطويل حتى بقناعاته الفكرية والقيمية.

٣- تسببه بالكثير من اللغط والمشاكل في المجتمع الذي يحتك به.

وفي تقديري أن هذه المخاوف ليست بخطيرة إذا أحسنا التعامل معه، فمثلا هذا الصنف لا ينفع معه الجدل لإقناعه بصحة الفكرة والمبدأ، وإنما استخدام الحوافز المادية والمعنوية، وحتى الترغيب بالجنة ونعيمها والترهيب من النار وسعيرها، ومن هنا ندرك كيف ظهرت في المجتمع الإسلامي الأول شريحة (المؤلفة قلوبهم) وقطعا هذه الشريحة لم تكن تحركها العقائد والمبادئ بقدر ما تحركها الحوافز الآنية، وهذا من خصائص المنهج التربوي في الإسلام حيث جمع بين المثالية والواقعية وكأن الإسلام يقر صراحة بوجود فئة من الناس

يتأثرون بالقريب العاجل أكثر من تأثرهم بالأصول والثوابت.

اختيار الدور المناسب لهذا النمط يخفض إلى حد كبير المشاكل المتوقعة، فهذا النمط لا يصلح للوظائف القيادية ولا تلك التي تتطلب استقرارا طويلا، ولا تلك الأعمال الروتينية التي تبعث في هذا الصنف الملل والسآمة، إن هذا الصنف يصلح للأعمال التي تتطلب قدرا من السفر أو الحركة ذات المجهود القليل وبعض أعمال الفن والتصوير، وأعمال النشر والتوزيع..الخ.

الشخصية اللمفاوية

اللمفاوي هو: اللا انفعالي الفعّال ذو الترجيع البعيد، فهو قليل التحسس والتأثر عظيم النشاط عميق الذاكرة.

تتميز هذه الشخصية بصفات أهمها: الهدوء والتفاؤل والقدرة على التركيز، معتدل المزاج، لا يحب المبالغة والغلو في أي جانب، لا يحب الظهور ولا كثرة الكلام، لديه القدرة على الصبر والكتمان والمطاولة، متمسك بقناعاته ومنسجم مع مبادئه، غالبا ما يتصف بالحكمة والصدق والموضوعية.

هذه الصفات ترشح اللمفاوي لأدوار كبيرة ومهمة مثل قيادة الأنشطة الجماعية وإدارة المؤسسات والجمعيات والشركات المستقرة، يصلح بشكل متميز للقضاء والإفتاء والتعليم وكذلك مراكز البحوث والدراسات ولجان الشورى والمراقبة والمتابعة..الخ

يمكن تحديد جوانب القلق أو الضعف في هذه الشخصية بالنقطتين الآتيتين:

الأولى: عدم قدرته على إظهار مشاعره للآخرين فهو ليس بشاعر ولا فنان ولا يجيد المدح أو التملق للآخرين، إن شخصيته التي توحي بنوع من الغموض لقلة انفعالاته لا تؤهله لأدوار التأثير العاطفي أو التسويق التجاري أو الدعايات السياسية، ولا شك أنه إذا دخل في هذه المجالات فإنه سيفشل، وربما سينظر إليه المحتكون به نظرة سلبية كاتهامه بالبرود واللامبالاة وربما بالتكبر والتعالي على الآخرين، وكل هذا قد لا يكون صحيحا، لكنه يعامل الناس بالصيغة التي تنسجم مع داخله، إنه شخصيا لا يشعر بالحاجة لتملق الناس له أو مديحهم إياه، إنه إنسان عملي مشدود لهدفه مرتبط بقناعاته من دون مشجعات أو محفزات.

الثانية: طابع الروتين وتشابه الأحوال في إدارته وقيادته، وهذه مشكلة حقيقية، فكثير من الجماعات والإسلامية منها بشكل خاص وضعت على رأس هرمها قيادات من هذا النوع في مجتمعات متغيرة وظروف متقلبة ومتناقضة فكانت النتيجة بطء واضح في الحركة وفشل عن ملاحقة هذه المتغيرات، ولتبرير مثل هذا الفشل استعيرت لافتات جميلة لتغطيته مثل (الثبات) وهو مصطلح جميل إذا أطلق على الهوية والمبدأ، أما إذا أطلق على البرامج والوسائل فيتحول إلى سلبية قاتلة، ما معنى أن تثبت في محيط متحرك ؟!

نعم إن الشخصية اللمفاوية تصلح لقيادة الجماعات في الدول والمجتمعات المستقرة حيث الوضع المستقر سياسيا وقانونيا والمعطيات الواضحة على المدى المنظور، وهناك احتمالات ضعيفة جدا لحدوث مفاجآت كبيرة أو قوية، ولذلك تنجح المؤسسات الغربية بقياداتها اللمفاوية لأن هذه القيادات تنسجم مع البيئة المحيطة فتحقق قدرا

من الانسجام والاستقرار، لكننا حينما نستورد هذه التجربة من الغرب في بلادنا المتقلبة فإننا سنعزل أنفسنا تماما عن محيطنا وسنجد أنفسنا خارج الزمان وربما حتى المكان، ولا زلت أذكر بهذا الصدد في الشهر الثامن سنة ٢٠٠٣ م أي بعد الاحتلال الأمريكي للعراق بأشهر قليلة، وكنت حينها في مدينة الفلوجة وكانت الفلوجة تغلي وإذا بالحزب الإسلامي العراقي/ فرع الفلوجة يستضيف واحدا من قياداته التي أمضت شطر حياتها في الغرب ليلتقي بأهل الفلوجة ويقول لهم العبارة الآتية (نحن لا نثور ولا نُثير ولا نستثار) !! ربما يكون هذا الأخ داعية أو قياديا ناجحا في الغرب لكنه فشل في أن يجد لتجربته أرضية ولو ضيقة.

وإذا قارنا شخصية اللمفاوي بشخصية الجموح فإننا سنجد أن الجموح يتفوق على اللمفاوي بسرعة الحركة والتكيّف مع المتغيرات والمستجدات، والقدرة كذلك على تحقيق القفزات المتناسبة مع حركة الزمن وتنافس الآخرين في نفس الميدان، وربما يكون الجموح غير مناسب للقيادة في المؤسسات التي تطمح للاستقرار في بيئة مستقرة أصلا وهنا يأتي دور اللمفاوي، ولذلك يقال: إن أفضل المؤسسات هي التي تبدأ بقيادة جموحة توصلها إلى المستوى المطلوب ثم تسلّم القيادة لشخصية لمفاوية تحافظ على المكاسب المتحققة.

والخلاصة أننا نحتاج للجموح في قيادة المؤسسات الناشئة وتلك التي تعمل في الظروف والأحوال المتقلبة، بينما نحتاج للمفاوي في قيادة المؤسسات والجماعات المستقرة والبالغة حد الرضا بمستواها في البيئة البعيدة عن المفاجآت والانقلابات.

ليس هناك عقبات كبيرة لمعالجة أخطاء اللمفاويين، فهم

مبدئيون عمليون كتومون، يكفي أن توضّح لهم أخطاؤهم بهدوء فإذا اقتنعوا فعلا فلا عقبة تحول بينهم وبين التصحيح، إن شخصية اللمفاوي لا تحتاج أكثر من الإقناع بخلاف الشخصية العصبية والعاطفية وحتى الجموحة.

الشخصية الـدموية

الإنسان الدموي هو: اللاإنفعالي الفعّال ذو الترجيع القريب، فهو قليل التحسس والتأثر، عظيم الحيوية والنشاط، غير قادر على المطاولة والنفس الطويل.

تتميز هذه الشخصية بصفات كثيرة أهمها: قلة الانفعال كالشعور بالغضب المفاجئ أو الفرح والحزن المفرطين، معتدل في المزاج، هادئ الصوت، مهذّب في تعامله مع الناس،محب للرياضة، معتدل في ملذات الجسد، عملي من الدرجة الأولى، قادر على حل مشاكله بلا توتر، يكره الروتين والعمل الوظيفي المتشابه الأحوال، لا يصبر على متطلبات التنظيم المعقد، يكره التعصب، متسامح مع الآخرين لكنه قادر على المراوغة والمخادعة، ليس دائما منسجما مع قناعاته ومبادئه، يتنوع في صداقاته ويتجدد ولا يحمل وفاء كبيرا لأصدقاء الطفولة مثلا.

إن هذه الشخصية تشترك مع اللمفاوي في كثير من الصفات لكن نقطة الخلاف الجوهرية هي: عدم القدرة على المطاولة والصبر وهذا ينعكس على علاقاته ونظرته للوظيفة والأعمال الأخرى والسبب الذي أنتج هذا الفارق إنما هو اختلافهما في الترجيع.

بعكس ما يوحي مصطلح (الدموي) في ثقافتنا الشائعة فإن

الدموي هنا هو بطل الدبلوماسية والعلاقات العامة والأدوار السياسية ذات الأهداف القريبة، إن هدوء طبعه اللاإنفعالي، واستعداده لنسيان جراحات الماضي وأخطاء الآخرين، وحيويته الفائقة، كل هذه الاستعدادات المجتمعة تقوده ليكون الرجل المناسب في العلاقات (البراغماتية) الهادفة القريبة الأهداف، أما العلاقات العاطفية الحقيقية فلا تناسب بالتأكيد هذه الشخصية.

إن أغلب الإشكالات التي تنشأ من التعامل مع هذه الشخصية يعود إلى:

١- عدم قدرته على الاحتفاظ بعلاقاته القديمة، وهذه سلبية من ناحية لكن قد تكون إيجابية من ناحية أخرى، حيث لديه القابلية على تشكيل علاقات جديدة ومتنوعة ومن الممكن الاستفادة من ذلك في مجالات كثيرة أخرى.

٢- قلة الصبر على العمل الروتيني الرتيب، ولذلك ينبغي اختيار الأعمال التي فيها قدر من الحركة والمرونة وهي الأخرى كثيرة أيضا.

٣- العجز عن حبس النفس نحو الأهداف المركزية البعيدة، وهذه لا تكون إشكالية خطيرة إلا عندما تسند الأدوار القيادية المركزية لهذا النمط، ويمكن تلافي هذا الأمر بوضع الرجل المناسب في المكان المناسب بعد المعرفة العلمية بمعنى الرجل المناسب.

٤- ضعف الالتزام بمبادئه وقناعاته، وهذه مشكلة حقيقية لكنها ليست جديدة ولا غريبة، وقد رأينا الرسول عليه الصلاة والسلام يستخدم الأساليب التحفيزية المتنوعة ماديا ومعنويا لدفع هؤلاء الناس نحو الأهداف المطلوبة منهم، حيث كل ما تحتاجه هذه الشخصية

المتابعة المستمرة والتحفيز المتكرر لأنه ليس لديه القدرة أن يتذكر دائما الهدف الأخروي البعيد الذي يسعى له كل مسلم.

الشخصية الخاملة

الخامل هو: اللا انفعالي اللا فعّال ذو الترجيع البعيد، فهو قليل التحسس والتأثر، قليل الحيوية والنشاط، لديه القدرة الطويلة لاختزان مشاعره والاحتفاظ بذكرياته وأحلامه.

يتميز الخامل بصفات كثيرة منها: الثبات على آرائه وعلاقاته القديمة، لا يحب التغيير والتجديد، قليل الكلام، قليل العمل، محب للاقتصاد، يكره المفاجآت، عازف عن النشاطات الاجتماعية، لا يحب الأطفال ولا الحيوانات الأليفة، كثير التحمل والصبر، كثير الأحقاد، له قدرة كبيرة على الكتمان.

يصنف كثير من الناس هذا النمط على أنه شخصية محافظة عظيمة الوفاء لقيمها وثوابتها وعلاقاتها القديمة، وربما لهذا السبب توكل إليهم المهام القيادية الكبيرة في بعض الجماعات الإسلامية خاصة ! ولو حاولنا تحليل هذه الشخصية فإن شدة المحافظة هذه نابعة من ضعف الانفعالية وضعف الفاعلية فهو لا يطلع على الأفكار والأساليب الجديدة ولا يتفاعل مع المتغيرات والمفاجآت، وليست لديه القدرة على التكيّف مع المستجدات، في مقابل ذلك فهو يحتفظ بذاكرة قوية لكل ما هو قديم (أفكار، تصورات، علاقات، أساليب... الخ) فلا يجد نفسه إلا في هذا الإطار، وحينما ينظر إلى المواكب المتحركة يمينا وشمالا فهو لا يرى فيها إلا مغامرات طائشة تفتقر إلى الرزانة والرويّة.

إن الورقة الوحيدة التي بيد هذا النمط هي كونهم (أهل السابقة) و (الثابتون على النهج) واستنادهم إلى مثل هذه المقولات يخفي وراءه حالات كثيرة من العجز والتقصير، فيسلك أحدهم هذا النهج عقودا من السنين فلا تلمس له إضافة على ما قدمه السابقون لا في مجال العلم والثقافة ولا في مجال التنظير والتخطيط ولا حتى على مستوى حل المشاكل الآنية أو مواجهة التحديات المحيطة، لا تكاد تقرأ لهم رأيا ولا فكرا، إنهم باختصار يعيشون على إنتاج الروّاد الأوائل وكتاباتهم وتجاربهم.

إن الدور المناسب لهذا النمط بعيد كل البعد عن الأدوار القيادية، وكذلك المهام التي تتطلب قدرا من الجهد البدني أو قدرا من المرونة في الحركة والتكيّف كالدبلوماسية أو الرياضة والفن، إن أنسب المهام لهؤلاء هي المهام الروتينية الرتيبة كالأعمال الكتابية وربما القضاء وأقل من ذلك التعليم.

لا توجد مخاوف حقيقية من هذا النمط إذا استبعدوا عن منصة القيادة، فهم لا يحبون أصلا المفاجآت ولا يتوقون للشهرة أو التغيير إنهم بحق (لا يثورون ولا يثيرون ولا يستثارون) وإذا عزل أحدهم من منصبه أو وظيفته فإنه لا ينتقم وليست لديه القدرة على الانتقام، لكنه من المؤكد سيحتفظ بأحقاده طويلا دون أن تنتج هذه الأحقاد عملا مؤثرا، ولذلك يكون هؤلاء مفضلين جدا في الجماعات التي تعيش قلقا أمنيا أو تخاف من التصدع والتفكك الداخلي.

كما أن هؤلاء لا يحتاجون إلى أدوات التحفيز المتكررة والمتنوعة والتي يحتاجها غيرهم في العادة، وبالتالي هم أقل كلفة، ولا يحتاجون

حتى إلى المراقبة أو المتابعة من قياداتهم.

الشخصية الهلاميّة

الهلامي هو: اللا انفعالي اللا فعّال ذو الترجيع القريب، فهو قليل التحسس والتأثر، قليل النشاط، سريع النسيان لمبادئه وأهدافه ومشاعره!

يتصف الهلامي بصفات تميزه عن غيره منها: الاهتمام بغرائزه وحاجاته المادية القريبة، كسول ومسوّف، لا يعتز بصداقاته القديمة وربما لا يتذكرها، لا يلتزم بمبادئه وقناعاته، لا يقلقه مستقبله البعيد ولا يحسب لأيام شيخوخته مثلا، مبذّر ومسرف، لا يهتم بالشأن العام، ضعيف الولاء لقوميته أو وطنه وحتى أسرته، لكنه متسامح هادئ لا يثير لغطا في الوسط الذي يعيش فيه، موضوعي وواقعي ليس عنده ما يشده للتعصب والانحياز.

يرى المختصون بهذا العلم أن كثيرا من الذين يمتهنون الفن الهابط والمتع الجسدية الرخيصة هم من هذا النمط[1]، إلا أنه يمكن القول إن هذا النمط مؤهل لممارسة أدوار نافعة حيث هناك صفات يمكن أن تكون إيجابية بل وضرورية لبعض الوظائف، فمثلا هذه الشخصية قليلة الغضب قليلة الأحقاد متسامحة مع الآخرين والسؤال هو ألا يمكن توظيف هذه الصفات بالطريقة النافعة؟

---

١ - علم الطباع في المدرسة الفرنسية ص ٢١٠.

إن هذا النمط يحتاج إلى رعاية ومتابعة، فهو لا يصلح أن يقود الآخرين ولا يصلح أن يقود نفسه، فإذا عرف المجتمع مسؤوليته تجاه هذا النمط فإنه سيحولهم إلى عناصر خيّرة، وأذكر هنا تجربة الإسلاميين في تركيا حيث فكروا في معالجة الوضع السيئ لمجتمع محدد من النساء اللواتي يمتهن الحرام بأجسادهن وبعد دراسة علمية دقيقة تمكنوا من معالجة المشكلة من أساسها.

إن هؤلاء كالأطفال الذين يتمتعون بقدر من الآنيّة القريبة فتتغلب شهواتهم الحاضرة على منطق العقل وضرورات المستقبل، لكن بوجود الأسرة الواعية والتربية المستمرة يمكن أن يتغير كثير من الظواهر السلوكية السلبية.

ليس هناك كبير خطر من هذا الصنف شريطة أن يعرف المجتمع دوره تجاههم، وينبغي التنبيه هنا أن هذا النمط لا يتأثر بالمجادلات النظرية بقدر ما يتأثر بالبيئة الصالحة الودود التي يرى فيها أنسه ومتعته النفسية والعاطفية.

ملاحظات في التشخيص والعلاج

من أجل أن نتقدّم خطوة بالاتجاه العملي علينا أن نحسن استخدام هذا العلم لئلا ينقلب إلى معضلة جديدة تضاف معضلات عملنا الإسلامي، ولأني أعلم أن هذا الموضوع شديد الخصوصية وبالتاي هو شديد الحساسية فلا ينبغي تعاطيه بعجلة أو سطحية أو عبثية تذهب بثمار هذا العلم وتعطي انطباعا سلبيا عنه، من أجل كل ذلك حاولت أن أضع بين يدي القارئ الهادف هذه الملاحظات الموجزة:

الأولى: أن هذا العلم له غاية عملية فهو أسمى من مقولة (العلم للعلم) وهذه الغاية العملية في التربية والتقويم والتوظيف تتطلب شعوراً عالياً بالمسؤولية، ومراقبة الله في أي مرحلة من مراحل الاستفادة من هذا العلم بدأ بالتأصيل الشرعي كما هي مهمة هذا البحث أو التشخيص ثم العلاج في الميدان وعلى مختلف الصعد.

الثانية: ضرورة التمييز بين ثوابت الطبع والظواهر السلوكية، حيث أن الثوابت لا يمكن تغييرها فهي أشبه بالجانب الجبري في الإنسان كلون بشرته وطول قامته ومستوى ذكائه وهذه لا يحاسب عليها المرء إذ الله خلق عباده متفاوتين في هذا الجانب لحكمة جلية، وهذا بخلاف الجانب التكليفي وهو الجانب العملي الذي بمقدور الإنسان أن

يقوّمه بمقتضى الشرع والعقل، ولتوضيح هذا فإذا ظهر بالتشخيص أن هذا الإنسان انفعالي أو غير انفعالي أو كونه جموحا أو عاطفيا فهذا بحد ذاته لا يوصف بالخير أو الشر، لكن الذي يوصف بالخير أو الشر ومن ثم يستحق الثواب أو العقاب هو سلوك هذا الشخص، فسلوك الجموحين مثلا ليس واحدا وإن كانت طباع الجموحين واحدة، فلو قلت مثلا إن خالد بن الوليد وجنكيزخان ينتميان إلى نمط الجموح فهذا لا يعني أن سلوك خالد كسلوك جنكيزخان، بل إن خالدا نفسه في الجاهلية غيره في الإسلام، لكن مؤهلاته الفطرية هي هي وبالتالي يكون العلاج ليس في تحويل خالد – رضي الله عنه – من جموح إلى لا جموح، وإنما يكون من جموح جاهلي إلى جموح إسلامي.

الثالثة: التنبّه إلى التمييز بين هذه الأنماط كاستعدادات فطرية للبشر وبين تلك الصفات الكسبية، فالجموح مثلا لا يكون قائدا لكونه جموحا فقط وإنما هو بحاجة إلى العلم والدربة وتنمية المدارك والمعارف المختلفة، وكذلك العاطفي لا يكون شاعرا لمجرد كونه عاطفيا بل يحتاج إلى إتقان لغة الشعر وأدواته، فدراسة هذه الأنماط تصنف الناس تصنيفا أوليا بحسب استعداداتهم الفطرية الأولية كما تقول هذا ذكي يصح أن يدرس الطب ليكون طبيبا وذلك ذو قامة طويلة يصح أن يدخل نادي كرة السلة، فالعلم والخبرة والأخلاق واللغة هي النصف الآخر لشخصية الإنسان، أقول هذا لأني رأيت بعض المعجبين

بالدراسات النفسية لا ينظرون للإنسان إلا من خلال التحليل النفسي وإنما الإنسان نفس وعقل وجسد وروح ولكل أمراضه وعلاجاته والمرء لا يحقق ذاته إلا بكل تلك العناصر مجتمعة.

الخاتمــة

في ختام هذا البحث أود أن أسجل خلاصة ما توصلت إليه مع أهم التوصيات:

- علم الطباع وإن كان علماً حديثاً بعنوانه وتبويباته و مصطلحاته وقد كان الفضل في كل هذا للمدرسة الفرنسية إلا أن موضوع هذا العلم موجود مع وجود الإنسان على هذه البسيطة، فعلماء هذا الفن لم يصنعوا الطبع البشري كما أن علماء النحو لم يصنعوا اللسان العربي ولا المناطقة صنعوا العقل الإنساني، وعلى هذا فالبحث في التراث الإنساني، والثقافات المتعددة عن جذور هذا العلم والصيغ المنبثقة عنه في السلوك البشري أمر مسوّغ ونافع في تقويم هذا العلم وتطويره.

- إن الإسلام الذي جعل النفس البشرية محور التكليف، وبها تناط مهمة إعمار الأرض وتحقيق خلافة الله فيها، قد احتوى كثيرا من المعلومات والتوجيهات التي تشكل منهجا متكاملا لإصلاح النفس وحملها على السلوك الأفضل، يضاف إلى هذا تعامل الرسول ﷺ الميداني مع النفس الإنسانية المختلفة والمتنوعة من شخص لآخر، إن هذا كله يشكل ثروة هائلة ممكن أن تقدم إضافة متميّزة للتراث الإنساني في هذا المجال.

- إن العلماء المسلمين مطالبون اليوم بدراسة العمق الإسلامي في مجال النفس البشرية ومقارنة هذه الدراسة بالخبرة الإنسانية المتراكمة، ومحاولة نسج اللحمة بين دراساتنا الإسلامية القديمة التي

ظهرت على يد حجة الإسلام الغزالي وغيره كاستجابة لتحديات ذلك العصر وبين ما توصّل إليه الجهد البشري اليوم بأدوات البحث العلمي المعاصر.

- إن هذه الدراسات ينبغي أن لا تبقى في حدود الاهتمامات الشخصية لبعض الباحثين بل من الأفضل وضع آليات مناسبة لبناء مشروعنا الإسلامي المعاصر في كل فروع علم النفس ومنها "علم الطباع" وأقترح أن تبادر إحدى الجامعات بتأسيس قسم متخصص بالدراسات النفسية وأن ترفد هذه التجربة بمركز بحوث يلاحق المستجدات ويقدم الدراسات التأصيلية والمقارنة.

- إن هذا العلم ليس من نافلة العلوم، فنحن بحاجة تصل إلى حد الضرورة لتوظيف الخبرات المتراكمة ونتائج الأبحاث الكبيرة في هذا المجال بما يناسب ثقافتنا وثوابتنا لتشخيص الأدواء النفسية والسلوكية على المستوى الفردي والجماعي، وتحويل هذه الخبرات إلى ضوابط إجرائية في سياسات التوظيف خاصة في المهام الإدارية والمسؤوليات الكبيرة، وهذا من شروط النهضة التي ننشدها، إذ أن الموظف لا يتعامل مع الأشخاص والأشياء بشهادته العلمية التي تسنم بها وظيفته بل هو يتعامل مع كل ما حوله ومن حوله بدوافع وحاجات نفسية وما لم يتم مراعاة هذا الجانب فسنبقى نواجه مشاكل متنوعة من سوء الإدارة واضطراب العلاقة بين الرئيس والمرؤوس والهدف الموضوع لهما، كما أن إهمال هذا الجانب في الطفولة ومراحل الدراسة الأولية تجعل الإنسان يخسر سنوات طويلة من الجهد ليكتشف في نهاية المطاف أنه لم يكن قد اختار التخصص الذي يناسب طبيعته مما يولد

عندنا حالة من اثنتين: العمل بدون رغبة ولا دافعية، أو ترك التخصص هذا والتوجه لعمل آخر بعيد كل البعد عن تخصصه الذي أفنى فيه عمره وجهده.

- وتأسيساً على ما تقدم فإنه لا بد من وجود لجان إرشادية في كل مدرسة تعتمد الأسلوب العلمي الرصين لتوجيه الطلاب إلى التخصصات التي تناسبهم.

- وأخيرا فإن هذا البحث لا يمثل إلا خطوة يستحسن أن تتبعها خطوات لاستكشاف أغوار هذا العلم وأبعاده النظرية والتطبيقية لصياغة علم النفس الإسلامي بثوب جديد قادر على وضع الحلول لإشكالات العصر وتحدياته.

والله أسأل أن يوفقنا للصواب وأن يتقبله منا، وأن يغفر لنا السهو والزلل.

الملحقات

ملحق رقم (١) اختبار الانفعالية[1]

١- أتتأثر كثيراً لأمور صغيرة تعرف أنها لا قيمة لها؟.............٩

أم أنت لا تهزك إلا الأحداث الكبيرة؟..........................١

٢- أتتحمس أو تستنكر بسهولة؟.............................٩

أم أنت تقبل الأشياء بهدوء ؟................................١

٣- أأنت سريع التأذي؟ ويجرحك النقد الحاد أو السخرية؟............٩

أم أنت لا تكترث بكل ذلك؟..................................١

٤- أتنتفض حين يناديك أحد فجأة؟............................٩

أم لا تنتفض في العادة ؟....................................١

٥- أتتحمس أثناء الكلام ويرتفع صوتك ؟.........................٩

أم إنك تتكلم في العادة كلاما هادئاً ورزيناً ؟......................١

٦- أتشعر بالقلق إزاء مهمة أو وظيفة جديدة؟.....................٩

أم تواجه الموقف بهدوء ؟....................................١

أتنقلب من الحماس إلى الإحباط أو العكس لسبب غير مؤثر؟.........٩

أم إن مزاجك معتدل ومتساو في الغالب ؟........................١

١- علم الطباع المدرسة الفرنسية ص ٣١٨ وقد نقل هذا الاختبار عن جاستون برجيه.

٧- أتسيطر عليك فكرة لا قيمة لها؟ أو وساوس وشكوك ليست عملية؟..٩

أم إنك لا تعاني من هذه الحالة إلا نادراً؟..........................١

٨- أتكون في بعض الأحيان غير قادر على الحركة أو الكلام بسبب الخجل مثلا؟...٩

أم إن هذا لا يحدث لك إلا نادرا؟..................................٥

أم إن ذلك لم يقع لك بتاتا ؟..١

٩- أتشعر في كثير من الأحيان بأنك تعيس؟............................٩

أم إنك في العموم راض عن حظك ؟ ولو حصل لك خلاف ما تريد تفكر بالحل؟..١

والآن اجمع الدرجات التي حصلت عليها ثم اقسم المجموع على عشرة لتعرف درجة الانفعالية عندك.

ملحق رقم (٢) اختبار الفعّالية[١]

١- أتشغل أوقات الفراغ بأعمال غير مفروضة عليك؟................٩

أم تستغل الفراغ للراحة ؟.......................................٥

أم تتسلى بالأحلام وألعاب الترفيه؟.............................١

٢- أتحتاج إلى عزيمة كبيرة لتحويل الفكرة إلى عمل؟...............١

أم إنك تنفذ ما اقتنعت به بلا تراخ.................................٩

٣- أيريحك التفكير في ماض سعيد، أو حلم مستقبلي؟...............١

أم إنك تؤثر التخطيط الواقعي المفيد لك..............................٩

٤- أتخور عزيمتك أمام الصعوبات؟.....................................١

أم تزيدك الصعوبات إصراراً على مواصلة العمل حتى بلوغ الهدف؟ ٩

٥- إذا كلفت بأمر، أتحب أن تنهيه بسرعة؟............................٩

أم تحب التسويف والتأجيل ؟..١

٦- أتتمكن من اتخاذ القرار بسرعة وحزم حتى في الظروف الصعبة؟.٩

أم إنك كثير التردد ؟...١

٧- أتغلب عليك الحركة (قيام وقعود والتفات، وإشارات عند الحديث)؟..٩

أم إنك ساكن في العموم ولا تتحرك إلا لأمر يستدعي الحركة؟........١

٨- أيسهل عليك تغيير وظيفتك أو محل سكناك لأمر نافع؟...........٩

أم إنك تؤثر الإبقاء على ما كان؟...................................١

١- علم الطباع المدرسة الفرنسية ص ٣٢٠ وقد نقل هذا الاختبار عن جاستون برجيه.

٩- إذا أصدرت أوامرك، أتتابع التنفيذ والإتقان وإن لم يطلب منك ذلك؟.٩

أم إنك تشعر بالتخلص من المسؤولية فور إصدارك للأمر؟..........١

١٠- أتؤثر الفعل على المشاهدة (مثلا في لعبة كرة القدم)؟..........٩

أم تؤثر المشاهدة على الممارسة ؟..................................١

والآن اجمع النقاط التي حصلت عليها واقسم المجموع على عشرة لتعرف درجة الفعّالية عندك.

ملحق رقم (٣) اختبار الترجيع[١]

١- أتعمل للمستقبل البعيد (تدخر لشيخوختك مثلا)؟..............٩
أم إنك لا تهتم إلا بالعاجل القريب؟..............................١
٢- أتفكر في كل ما يمكن أن يقع؟ ويعجبك أن تتنبأ بالمستقبل؟........٩
أم إنك تترك كل ذلك لحينه؟...١
٣- ألك عادات ثابتة في حياتك (مواعيد النوم والأكل مثلا)؟.........٩
أم إنك سهل مرن قادر على التكيّف في الظروف المختلفة؟............١
٤- أتنجز دائما ما بدأت به من عمل؟...............................٩
أم إنك كثيرا ما تترك العمل قبل إنجازه وتتحول إلى عمل آخر؟.....١
٥- أتحافظ على الصداقات القديمة (أصدقاء الطفولة مثلا)؟.....٩
أم إنك يسهل عليك تبديل أصدقائك؟...............................١
٦- بعد أن يجرح شعورك أحد، أتصفو نفسك بسرعة؟..............١
أم إنك تظل معكر المزاج مدة من الزمن؟...........................٥
أم يظل حقدك دائما ولا تستطيع أن تنسى؟..........................٩
٧- ألك مبادئ وقيم ثابتة يصعب عليك التنازل عنها؟..............٩
أم إنك تؤثر الواقعية وتستجيب للظروف المختلفة؟..................١
٨- أتحب التكرار والتشابه في العمل والمهام؟........................٩
أم إنك تحب المفاجآت وكل ما هو جديد؟.............................١
٩- أتضع برنامجا لأعمالك ومشاريعك قبل أن تباشرها؟............٩

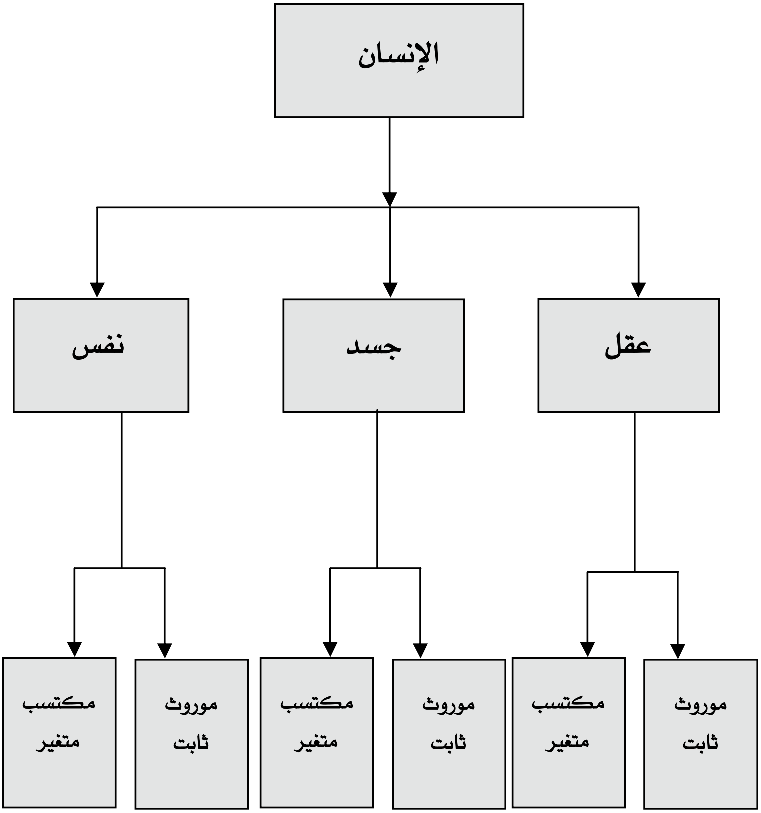
١- علم الطباع المدرسة الفرنسية ص ٣٢١ وقد نقل هذا الاختبار عن جاستون برجيه.

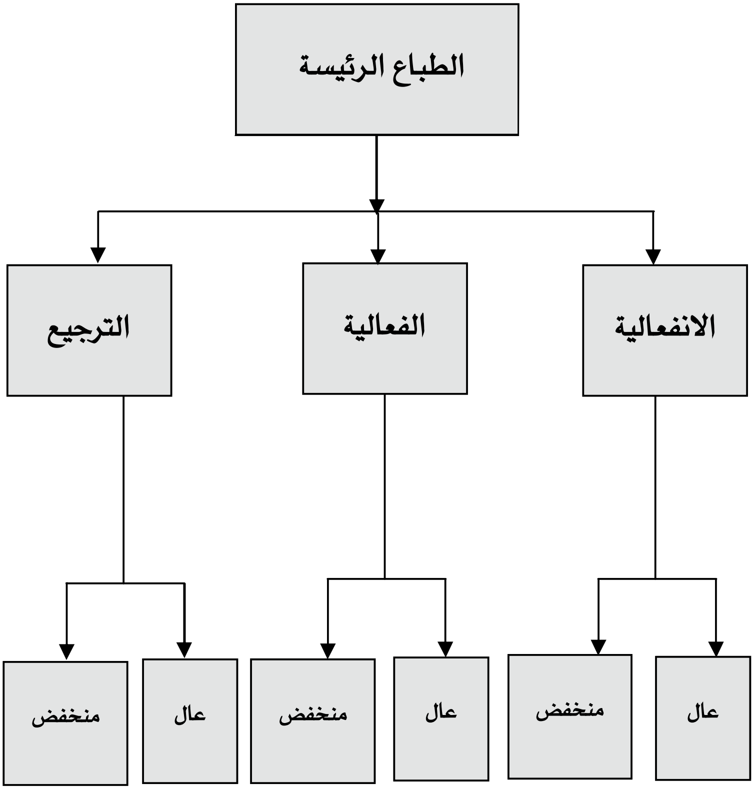
أم إنك في الغالب تباشر أعمالك دون خطة واضحة؟..................١

١٠- حين تتبنى رأيا، أتصر عليه وتدافع عنه وكأنه جزء من هويتك؟..٩

أم إنك تستسلم لإغراء أي فكرة جديدة على حساب رأيك الأول؟.....١

والآن اجمع النقاط واقسم المجموع على عشرة لتظهر درجة الترجيع عندك.


الإنسان
عقل
جسد
نفس
موروث
ثابت
مكتسب
متغير
موروث
ثابت
مكتسب
متغير
موروث
ثابت
مكتسب
متغير


الطباع الرئيسة
الانفعالية
الفعالية
الترجيع
عال
منخفض
عال
منخفض
عال
منخفض

الانفعالية	الفعالية	الترجيع	نمط الشخصية
عال	عال	عال	١-جموح
		منخفض	٢-غضبي
	منخفض	عال	٣-عاطفي
		منخفض	٤-عصبي
منخفض	عال	عال	٥-لمفاوي
		منخفض	٦-دموي
	منخفض	عال	٧-خامل
		منخفض	٨-هلامي

ت	نمط الشخصية	الدور المناسب
١.	الجموح	قيادة تغييرية صارمة
٢.	الغضبي	الخطابة، الأدوار التنفيذية السريعة التي تتطلب جهداً كبيراً
٣.	العاطفي	الكتابة، الشعر، الفلسفة
٤.	العصبي	الأدوار التنفيذية السريعة التي لا تتطلب جهدا كبيراً
٥.	اللمفاوي	القضاء والتعليم والسياسة والقيادة المستقرة
٦.	الدموي	الإعلام والدبلوماسية والأنشطة المجتمعية
٧.	الخامل	محاسبة، أعمال مكتبية، السرية
٨.	الهلامي	الفن والموسيقى

المصادر والمراجع بعد القرآن الكريم

١- إحياء علوم الدين، حجة الإسلام أبي حامد الغزالي، دار الثقافة / الجزائر، ط١، ١٩٩١.

٢- أزمة القيادة، محمد الحسن، دار الثقافة / الدوحة، ط١، ١٤١٠ هـ ١٩٩٠م.

٣- تاريخ الخلفاء، جلال الدين السيوطي، دار التراث/ بيروت، ١٣٨٩ هـ ١٩٦٩م.

٤- التأصيل الإسلامي للدراسات النفسية (رسالة دكتوراه)، محمد عز الدين توفيق، دار السلام / القاهرة، ط ٢، ١٤٢٣ هـ ٢٠٠٢م.

٥- تأملات، مالك بن نبي، دار الفكر / دمشق، ١٤٠٥ هـ ١٩٨٥م.

٦- التجريد الصريح لأحاديث الجامع الصحيح، الحافظ أبو العباس الحسين بن المبارك، دار إحياء العلوم م بيروت، ط١، ١٤٠٦ هـ ١٩٨٦م.

٧- تحفة الأحوذي، محمد بن عبد الرحمن المباركفوري، دار الكتب العلمية/ بيروت.

٨- الحق الإسلامي في الاختلاف الفكري، المركز الثقافي العربي/ ٢٠٠٤م.

٩- سنن أبي داود سليمان بن الأشعث السجستاني، تحقيق محمد محي الدين عبد الحميد، دار الفكر / دمشق.

١٠- سنن البيهقي الكبرى، أبو بكر أحمد بن الحسين، تحقيق محمد عبد القادر عطا، دار الباز / مكة المكرمة، ١٤١٤ هـ ١٩٩٤م.

١١- سنن الترمذي، أبو عيسى محمد بن عيسى، تحقيق أحمد محمد شاكر وآخرين، دار إحياء التراث العربي / بيروت.

١٢- سيكولوجية التعلم ونظريات التعليم ، جابر عبد الحميد جابر، دار النهضة العربية / القاهرة، ١٤٠٠ هـ ١٩٨٠ م.

١٣- صحيح ابن خزيمة، أبو بكر محمد بن إسحاق النيسابوري، تحقيق د / محمد مصطفى الأعظمي، المكتب الإسلامي / بيروت، ١٣٩٠ هـ ١٩٧٠ م.

١٤- صحيح مسلم، مسلم بن الحجاج النيسابوري، تحقيق محمد فؤاد عبد الباقي، دار إحياء التراث العربي / بيروت.

١٥- علم الطباع – المدرسة الفرنسية، د/سامي الدروبي، دار المعارف/ مصر ١٩٦١م.

١٦- فاعلية المسلم المعاصر، د / ابن عيسى باطاهر، دار البيارق، ط١، ١٤١٧هـ ١٩٩٧م.

١٧- فتح الباري بشرح صحيح البخاري، أحمد بن علي بن حجر العسقلاني، تحقيق محب الدين الخطيب، دار المعرفة / بيروت.

١٨- الفكر التربوي والنفسي عند الغزالي، د / كفاح يحيى العسكري، دار الشؤون الثقافية / بغداد، ط١، ٢٠٠٠م.

١٩- فيض القدير، عبد الرءوف المناوي، المكتبة التجارية الكبرى/ مصر، ط١، ١٣٥٦ هـ.

٢٠- قواعد ومعدات للقادة، بيري م. سميث، ترجمة د / كمال محمد دسوقي، الجمعية المصرية / القاهرة، ط١، ٢٠٠٠م.

٢١- قوانين النهضة – سلسلة أدوات القادة، د / جاسم محمد سلطان، أم القرى / المنصورة، ط١، ٢٠٠٠م.

٢٢- لافتات ٢، أحمد مطر، لندن / ط١، ١٩٨٧.

٢٣- لسان العرب، أبو الفضل جمال الدين بن منظور، دار عالم الكتب، المملكة العربية السعودية، ١٤٢٤ هـ ٢٠٠٣م.

٢٤- متساقطون على طريق الدعوة، فتحي يكن، مؤسسة الرسالة ٢٠٠٣م.

٢٥- مذكرة دبلوم في علم تحليل الشخصية، د/ عبد الجليل عبد اللطيف، الأكاديمية الدولية لتحليل الخط، ٢٠٠٥م.

٢٦- مسند البزار، أبو بكر أحمد بن عمرو، تحقيق محفوظ الرحمن زين الله، مؤسسة علوم القرآن / بيروت، ط١.

٢٧- المسؤولية أساس التربية الإسلامية، عبد السلام الأحمر، طوب بريس / الرباط، ١٤٢٨هـ ٢٠٠٧ م.

٢٨- منظومتنا التربوية إلى أين؟ عبد المجيد بن مسعود، الفرقان/ المغرب ٢٠٠٠م.

٢٩- نظريات الشخصية، دوان شلتز، ترجمة د / حمد دلي الكربولي و د/ عبد الرحمن القيسي، جامعة بغداد ١٩٨٣ م.

٣٠- نظريات المناهج التربوية، علي أحمد مدكور، دار الفكر العربي/ القاهرة، ط١، ١٤١٧ هـ ١٩٩٧م.
٣١- هذه تجربتي وهذه شهادتي، سعيد حوى، مكتبة وهبة/ القاهرة، ١٤٠٧هـ.
٣٢- هكذا ظهر جيل صلاح الدين وهكذا عادت القدس، ماجد عرسان الكيلاني، دار الفرقان / الأردن، ١٤١٩ هـ ١٩٩٨ م.

case with social leaders who can distinguish between the available capabilities according to their accumulated experience even if it is not recorded. Beside that، grammarians have not produced language، nor did logicians construct the intellect، and neither did psychologists manufacture the soul.

Finally، team work، skillfulness of communication، recruitment policies، and task assignment will not manage without this science and its rules. Thus، this study is a serious step to fill this gap.

Allah guides to the right path.

Zar. And because such as refusal cannot originate from the religious state of Abu Zar، his manner، nor his physical attributes، it should most likely be related to his psychological attributes. At the same time، since the Prophet did not advice Abu Zar to change those psychological qualities، it is most probably that those qualities were among the unchangeable form of qualities. This is what we call today 'The science of personality'. That is an example among many others which the researcher attempts to arrange with an organizing thread in order to discover the foundations of this science in our Islamic legacy.

It is not expected from this study to overstep today's rules of scientific research. This is because that these rules– regardless of their source – are only a classification and categorization of attributes that essentially exists along with the existence of mankind. One can call the attention، for example، to the eloquence and clarity of Arabic language، such eloquence and clarity was present before the development Arabic syntax. The same is the

ABSTRACT

The French school has pioneered the classification of the science of personality into its main branches; that is “emotionality،” “effectiveness،” and “reactivity.” It is according to the above classification that the static types of the human personality are contracted.

The science of personality is concerned with the unvarying traits and attributes of the human personality. Such traits might vary according to a number of variables such as religion، culture، and environment however its essence is static. The unchanging aspect of such traits allows for the prediction in regard to the behavior of people before hand، such prediction is useful in many areas such as selection، recruitment and knowing the possibilities of another part etc...

By referring to the Qur’an and to some examples extracted from the legacy of the Prophet one can deduct a number of such selections and precautions from most of the tasks which are assigned to the prophet’s followers. An example of this is the Prophet’s refusal of appointing Abu